

حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة .. العدد الخامس والعشرون



هذه حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة ..
العدد الخامس والعشرون ..
المجلد الخامس ..
العدد الخامس ..

يوم سعيد من خلال القرآن المجيد
"مفاتيح قرآنية لنيل السعادة الحقيقية"

إعداد

الدكتور/ أحمد محمد إبراهيم العمروسي

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا جامعة الأزهر - مصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص البحث باللغة العربية:

يوم سعيد من خلال القرآن المجيد "مفاتيح قرآنية لنيل السعادة الحقيقية"

أحمد محمدي إبراهيم العمروسي

قسم التفسير وعلوم القرآن، بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر الشريف، طنطا، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: ahmedmohamadyelamrosy.27@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة موضوع السعادة من منظور قرآني، ويبحث عن أهم أسبابها، ويستعرض بعض طرق تحصيلها، ويقترب حقيقتها للراغبين في الفوز بها، ويوضح أنها تتحقق بالموازنة بين مطالب الجسم والروح، وبين مطالب الفرد والجماعة، وبين إعمار الدنيا والآخرة، واتباع منهج السعادة الإسلامي المتمثل في: معرفة الله ﷻ، والسعي لتحقيق مرضاته بتحقيق العبودية له والامتثال لأوامره، وبمعرفة الإنسان ومكانته وحقيقته وجوده، وبالتأمل في الكون وما يحويه بقدر الطاقة التي وهبها الله لخلقه، والتي تدفعهم للنظر والتساؤل والبحث.

وقد اتبعت المنهج الاستقرائي والاستنباطي، وانتهت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها: أن أظهر طرق السعادة الحقيقية هو اتباع المنهج القرآني، والتزام الأمر الإلهي، واقتفاء الأثر النبوي، وأن الناس منقسمون إلى قسمين: قسم شقي معذب مستحق للعقوبة بمقتضى الوعيد للعاصيين، وقسم سعيد متفضل عليه بالنعيم، ومستحق للجنة بموجب الوعد للطائعين، وإن من أبرز طرق نيل السعادة النهارية: الاهتمام بالصلوات والأذكار النهارية، والحرص على صيام الفرض والنافلة، والسعي والعمل والكسب الحلال، فضلاً عن الاستعانة بالله، وأخذ المبادرة وتعاطي الأسباب المتاحة من أول النهار في التغلب على

المهام الصعبة، وقضاء الأمور الشاقة، والتحلي بجميل الأخلاق، وإن من أبرز طرق تحصيل السعادة الليلية: الحرص على سلامة القلب، والوصية، وحسن الخاتمة، والاهتمام بالصلوات والأدعية الليلية وتخصيص لباس مخصوص لها، وانتظار الليالي الموسمية لمثلها بالطاعات، واستحباب السفر الطويل ليلاً.

ودعا البحث إلى دراسة الموضوعات القرآنية، والاهتمام بالجوانب التطبيقية، ومحاولة تسهيل المفاهيم برسم أسهل طرق تنفيذها، ومن الموضوعات التي يمكن دراستها: الألفاظ التي توحى بالسعادة كالفرح، والسرور، والنصرة، والبشرى، والرضا، والفلاح، واليسر، والنجاة، والسعة، والعلاقات بينها، ومناسبة اختيارها في سياقها القرآني، ووسائل تطبيقها.

الكلمات المفتاحية: سعادة، قرآن، مفاتيح، عبادة نهارية، عبادة ليلية.

Happy Day Through the Holy Quran

"Miraculous Quranic Keys to Attain True Happiness "

Ahmed Mohamady Ibrahim Al-Amrosy

Assistant Professor of Interpretation and Qur'an Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Advocacy in Tanta, al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.

The Email: ahmedmohamadyelamrosy.27@azhar.edu.eg

The Abstract :

The research aims to study the subject of happiness from a Quranic perspective, and searches for its most important causes, reviews some of the ways to achieve it, and brings its reality closer to those who wish to win it, and explains that it is achieved by balancing the demands of the body and the soul, and the demands of the individual and the group, and between the development of this world and the hereafter, and by following the Islamic method of happiness represented in: knowing God Almighty, and striving to achieve His pleasure by achieving servitude to Him, complying with His orders, and stopping at His limits, and by knowing man, his creation, the reality of his existence, and his position among creatures, and by contemplating the universe, and understanding its reality and what it contains to the extent of the human energy that God has given to His creation, which drives them to look, question, and search.

The inductive and deductive approach was followed, and the study concluded with a set of results, including: The clearest paths and most evident ways of true happiness are following the Qur'anic approach, adhering to the divine command, and following the prophetic trace. People are divided into two groups:

a wretched, tormented group that deserves punishment according to the threat to the disobedient, and a happy group that is blessed with bliss and deserves Paradise according to the promise to the obedient. Among the most prominent ways to attain daytime happiness are: paying attention to daytime prayers and what is related to them, striving, working, and earning lawful money, being keen on various daytime remembrances, being keen on obligatory and voluntary fasting, in addition to seeking help from God, taking the initiative and using available means from the beginning of the day to overcome difficult tasks, accomplish difficult matters, and being adorned with beautiful morals. Among the most prominent ways to attain nighttime happiness are: being keen on the safety of the heart before sleeping, making a will, having a good ending, paying attention to nighttime prayers and supplications, waiting for seasonal nights to fill them with acts of obedience, and allocating special clothing for acts of worship. Night, and the desirability of long journeys at night.

The research called for studying Quranic topics, paying attention to the practical aspects, and trying to facilitate concepts and rules by drawing the easiest ways to implement them. Among the topics that can be studied are words that suggest happiness such as joy, pleasure, freshness, good news, contentment, success, ease, salvation, and spaciousness, and the relationships between them, and the appropriateness of choosing them in their Quranic context, and the means of applying them and achieving them.

Key words: happiness, Quran, miracle, keys, happy day, daytime worship, nighttime worship.

مقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

أما بعد،

فالبشر على ظهر الأرض يبحثون طوال حياتهم عن أي شيء يدخلهم في دائرة السعادة والشعور بأحاسيسها الرائعة، ويسلكون في تحصيل ذلك كل السبل المتاحة المشروعة منها وغير المشروعة، بل يتخطى الأمر إلى اللهث وراء الأوهام والخرافات والخيالات المعقولة وغير المعقولة من أجل الظفر بهذا الشعور الجميل اللطيف ولو لمدة ولحظات يسيرة، وأحياناً يُنفق في هذا الغالي والنفيس.

والحقيقة أن محاولة الوصول إلى السعادة وولوج مراتعها أمر مباح مشروع، لكن الأمر يحتاج إلى وقفة وتأمل قبل المضي في طريق البحث عنها، خاصة أن الحديث عن السعادة قد خاض فيه القاصي والداني، وتشتت المساعي والمسالك في شأنها، ومن نعم الله على هذه الأمة الإسلامية أن وفر على أتباعها الراغبين والسالكين لسبل السعادة الحقيقية الكثير من الجهد والبحث؛ فرسم لهم طرقها، وبين لهم حقيقتها، وأظهر لهم أسبابها، وعرض لهم ما قد يعترضهم ويتعرضوا له من معوقات وعقبات في طريق الوصول لغايتهم.

ومن أجل ذلك، فإن هذا البحث الموسوم بـ: يوم سعيد من خلال القرآن المجيد "مفاتيح قرآنية لنيل السعادة الحقيقية"، محاولة بحثية لنيل شرف الوصول إلى تيسير فهم معنى السعادة الحقيقية التي ضمنها هذا الدين الحنيف لأتباعه المخلصين الصادقين، مع إبراز بعض طرقها، والمساهمة في طرح بعض خطواتها، واستعراض بعض الأعمال الموصلة إليها، مستعيناً بالله أولاً، ثم بما سطره أهل التفسير وعلوم القرآن والزهد والرقائق في كتبهم وأسفارهم، والله من وراء القصد، فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

ترجع أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره لعدة أمور، من أهمها ما يلي:

أولاً: ارتباط القرآن الكريم بأي دراسة يضيف عليها مزيداً من الفضل والأهمية، لتميُّزه بكونه مورداً خصباً للأبحاث والدراسات بغية الكشف عن مكوناته وكوامنه.

ثانياً: تناول موضوع من خلال آيات القرآن الكريم جمعاً ودراسة وتدبراً يكشف عن رافد هام من روافد الإعجاز القرآني، يُرجى منه تحقيق إضافة في تيسير فهم معاني آيات القرآن الكريم وتراكيبه وموضوعاته وتحقيق أهدافه ومقاصده.

ثالثاً: يُعد موضوع السعادة موضوعاً ذا قيمة لدى الفرد والمجتمع والأمة بأسرها، لاشتماله على عدة أعمال وارتباطات وأمور وجدانية تتعلق بالدنيا والآخرة.

رابعاً: من أسمى الغايات التي اتفق عليها البشر واجتهدوا في طلبها: الوصول والحصول على السعادة، لكن اختلفت مذاهبهم في الوقوف على حقيقتها، وتشعبت طرقهم وأعمالهم المؤدية للفوز بها.

خامساً: أغلب من يبحث عن السعادة الحقيقية ويريد الوقوف على معناها وحقيقتها وأسبابها وطرق وخطوات وأعمال تحصيلها بصورة مختصرة ميسرة تُوصله لهذه الغاية بسهولة وتهتم بالجانب التطبيقي يحتاج الأمر منه الكثير من الجهد حتى يصل إلى مبتغاه، فكانت هذه الورقات عوناً له على ما أراد بإذن الله.

وبالتالي، فإن دراسة موضوع السعادة من منظور إعجازي وتفسيري وتدبري وتنظيمي يسهم في الكشف عن مجموعة من المعاني والإشارات والطرق والخطوات والأعمال والروابط المشتركة التي تساعد في تسهيل وتقريب معنى السعادة الحقيقية لا الوهمية، وفهم مقاصدها، وكيفية الوصول إليها وتطبيقها، فترجع فائدة ذلك على العبد العامل، ويظهر أثر ذلك في حياته الدنيوية والأخروية.

هذه بعض الأسباب التي دعنتي للبحث في هذا الموضوع القيم، والله من وراء القصد،
والهادي إلى سواء السبيل.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في السجلات الخاصة بالأبحاث العلمية، وعبر الشبكة العنكبوتية - الإنترنت - وفهارس وكشافات الدراسات القرآنية؛ لم أقف على دراسات سابقة جامعة مستقلة متخصصة تهدف لاستخراج حدود وطريقة منظمة ومنضبطة يمكن السير عليها وتطبيقها يومياً للوصول والحصول على السعادة الحقيقية حسب محيط الاطلاع، وإنما هي إشارات مبثوثة في كتب أهل التفسير والزهد والرقائق، وكتابات بعض المهتمين بالدراسات الإسلامية والتي تطيل الكلام في الجوانب النظرية، والإسهابات الفلسفية، وكثيراً ما تتطرق وتتعرق في بيان معنى السعادة وحقيقتها والاختلافات في إثبات ذلك، ومن ذلك:

١. كيمياء السعادة، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، رسالة صغيرة في تهذيب النفس ومعرفة خواصها، والحديث عن القلب وعساكره وخدمه، والتفريق بين السعادة بمعناها الظاهري والسعادة بمفهومها الروحاني.
٢. غاية الغايات وطريق السعادات حسن الخاتمة، لأزهري أحمد محمود، وركات تتحدث عن حسن الخاتمة وكونها إحدى طرق السعادة.
٣. السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح، لعبد الرحيم المالكي وأمين الشقاوي، كُتيب صغير هدفه إبراز مقاصد النكاح، وأثره على الفرد والمجتمع.

الهدف من هذا البحث، وما يضيفه:

تهدف الدراسة لإبراز النقاط التالية:

- الكشف عن بعض ما يحويه القرآن الكريم وآياته، وموضوعاته، وأساليبه، من فصاحة وبلاغة وإعجاز ومعاني تؤثر على المتلقي ووجدانه ومجتمعه وأُمته.

- استقراء آيات القرآن الكريم، وبيان الصلات والعلاقات بين موضوع السعادة وآياته وبين الآيات التي تتحدث عن الوقت وأهميته، وربط ذلك ببعض العبادات والأعمال الصالحة والأخلاق الإسلامية.
- إظهار واستنباط ورسم طريقة تطبيقية ميسرة منظمة فيها بعض الخطوات والأعمال والمعاني والهدايات القرآنية والإيمانية التي يمكن الاستعانة بها في طريق طلب السعادة.

منهج البحث:

أ- منهج البحث:

تتعدد مناهج البحث وتختلف باختلاف الموضوع، ولكن طبيعة الموضوع هي التي تقرر أيًا من تلك المناهج يصلح استخدامه في هذا الموضوع أو ذاك، ومن هذا المنطلق يسير منهج البحث والدراسة على:

- (١) المنهج الاستقرائي: ويتمثل في تتبع موضوع السعادة وآياته، وجمعها مع الآيات التي تتحدث عن الوقت وعن بعض العبادات والأعمال والأخلاق الصالحة.
- (٢) المنهج الاستنباطي: ويتمثل في الإشارة إلى بعض الثمرات والفوائد التي سيتحصل عليها العبد إن سار على ما رُسم له من روابط وأعمال ليلية ونهارية.

ب- حدود وإطار البحث:

- التزم البحث بآيات القرآن بشكل عام، وموضوع السعادة بوجه خاص، وبيان بعض الجوانب التطبيقية والحياتية.
- جعلت من موضوع السعادة محوراً لهذا البحث، واجتهدت في استنباط ما فتح الله من أسرارهِ، محاولاً فهم سياقاتهِ، وتجلية مظاهر الإعجاز فيه، مما أحسب أنه سيسهم في إثراء الأبحاث الموضوعية والتطبيقية المتعلقة بالقرآن الكريم.

ج- طريقة عملي في البحث:

يمكن توضيح الطريقة التي اتبعتها في كتابة البحث في النقاط الآتية:

– استقرأت القرآن الكريم للوقوف على المواضيع التي وردت فيها ألفاظ موضوع السعادة وحصرتها.

– استقرأت كتب التفسير والزهد والرقائق والمعاجم لجمع الكلام حول الموضوع ومعانيه وأسبابه وطرق تحصيله، ثم قمت بدراسته، وتقسيمه، وبيان الصلات والعلاقات بينه.

– عرضت نبذة مختصرة عن حقيقة السعادة وآياتها، ورتبت المباحث وصنفتها حسب تسلسل وترتيب المراد والهدف من الموضوع، فتعرضت لأسباب السعادة وبعض معوقاتنا، وخصصت مبحثاً لبعض طرق السعادة التي يمكن السير فيها وتطبيقها أثناء النهار، ومبحثاً لبعض طرق السعادة التي يمكن السير فيها وتطبيقها آناء الليل.

– ما نقلته من كلام غيري فإني أضعه بين علامتي تنصيص " " ثم أشير إلى المصدر في الهامش، فإن لم أنقل بالنص بل بتلخيص الكلام أو مفهومه فإني أقول: ينظر كذا.

– ما نقلته من المصادر والمراجع في أثناء البحث أشير إليه في الهامش ذاكراً: عنوان الكتاب، واسم مؤلفه، ورقم الجزء والصفحة، ثم أنقل بقية بيانات الكتاب كاملة في فهرس المصادر والمراجع طلباً للاختصار وعدم التكرار، فأذكر: اسم الكتاب، واسم مؤلفه، واسم المحقق -إن وُجد - ودار النشر، ورقم الطبعة، وسنة الطبع -إن وُجدت - وعدد الأجزاء.

– ذكرتُ الكتاب باسمه الذي سماه به مؤلفه عند العزو، وإن كان غيره أشهر منه؛ ليكون طالب العلم على دراية بأسماء الكتب.

– أثبتُّ الآيات القرآنية وفق الرسم العثماني، وعزوتها بجوارها إلى مواضعها في القرآن

الكريم.

- خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة الموجودة في صلب البحث من مصادرها، وحكمت على غير ما في الصحيحين بذكر بعض ما قاله أهل العلم في الحديث تصحيحاً أو تضعيفاً.
- عزوتُ كل قول إلى قائله - قدر الاستطاعة -، وعلّقتُ على الموضوعات التي تحتاج إلى تعليق - قدر الطاقة - وأوضحت الألفاظ الغريبة، والمصطلحات العلمية من مصادرها الأصلية.
- ضبطتُ بالشكل ما يحتاج إلى ضبط مما تُشكّل قراءته، ويلتبس نطقه.
- ختمتُ البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات، ثم الفهارس الفنية.

خطة البحث:

انظم عقد هذا البحث ونمط تقسيمه واقتضت طبيعته أن يكون في: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس فنية، وبيانها على النحو التالي:

مقدمة، وقد اشتملت على:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، والهدف من البحث، ومنهجه، وخطته.

التمهيد: حقيقة السعادة، وما ورد في شأنها في القرآن الكريم.

المبحث الأول: أسباب ومقومات السعادة، وعقبات الطريق.

المبحث الثاني: طرق تحصيل السعادة النهارية.

المبحث الثالث: طرق تحصيل السعادة الليلية.

الخاتمة: وبها أهم النتائج والتوصيات، ثم الفهارس الفنية.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنِي فِيمَا قَصَدْتُ، وَأَنْ يَسْبِغَ عَلَيَّ فَضْلَهُ وَإِحْسَانَهُ فِيمَا كَتَبْتُ، إِنَّهُ وَلِي ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ، وَهُوَ نَعَمُ الْمَوْلَى وَنَعَمُ النَّصِيرُ.

التمهيد

حقيقة السعادة، وما ورد في شأنها في القرآن الكريم

حقيقة السعادة:

السعادة ضد الشقاوة، وهي حالة نفسية وشعور مستمر بالطمأنينة، والراحة، والبهجة، والرضى، تأتي نتيجة لإحساس دائم بخيرية ذات وحياة ومصير الإنسان^(١)، وقناعته بما كتبه الله له، وما سخره ﷻ وأمده وأعانه به من أمور إلهية تساعد وتيسر له فعل الخير والصالح، وتجعله يتقبل الحياة بسرائها وضرائها، وتنصره عليها، وتدفعه للعمل الدؤوب الدائم حتى يلقي ربه وهو راض عنه.

وتتحصل السعادة بتحقيق التوازن بين مطالب الجسم والروح، وبين مطالب الفرد والجماعة، وبين إعمار الدنيا والآخرة، وهي هبة من الله فيها معنى الحياة وغايتها، تكون ناقصة في الدنيا كاملة في الآخرة.

ومنهج السعادة في الإسلام منهج واضح مختصر يتحقق أولاً: بمعرفة الله ﷻ والتعرف عليه، والسعي للحصول على مرضاته، والامتثال لأوامره، والوقوف عند حدوده، وتحقيق العبودية له.

وثانياً: بمعرفة الإنسان وخلق وطبيعته ومنزله وقيمه ومكانته الكريمة بين المخلوقات، وحقيقة وجوده، كما قال تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ *

(١) خيرية الذات تتمثل في فضائل النفس كالحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة، وصحة البدن، وسلامة الحواس. ومن خيرية الحياة: الحصول على الثروة وحسن استخدامها، والنجاح في العمل، وتحقيق الطموحات، وسلامة العقل، وصحة الاعتقاد، والسمعة الطيبة والاستحسان من الناس، ومن خيرية المصير: الجنة، وما أعد للعبد الطائع من بشرى، وما سيلقاه في أخراه من فضل.

مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّيْلَ يَسْرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿[عبس: ١٧ - ٢١]، وقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، فيوقن العبد أن الحياة الدنيا ليست إلا جسراً للآخرة، وأنه في مرحلة امتحان دائم، وكل ما حوله من مباهج وملذات ومتع ما هي إلا أيام قلائل سرعان ما تنقضي، قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، مع التنبيه على أن هذه ليست دعوة لتهوين الحياة في نظر الإنسان والتقشف وانتظار الموت، وصرفه عن إعمار الأرض بالعلم، بل يجب عليه الموازنة، وحسن استخدام هذه المتع بإعطاء كل ذي حق حقه، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، ﴿وَلَا تَسْ نَصِيْبِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢] .

وثالثاً: تتحقق السعادة بالتأمل في الكون، وفهم حقيقته ووجوده وما يحويه بقدر الطاقة البشرية والإدراكات التي وهبها الله لخلقه، والتي تدفعهم للنظر والتساؤل والبحث، قال تعالى: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، وأن الكون مسخر من الله لخدمته الإنسان وتحقيق سعادته، قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾

[الملك: ١٥]^(١).

وقف مع ما ورد في شأن السعادة في القرآن الكريم:

لم ترد كلمة السعادة في القرآن الكريم إلا في إطار الحديث عن اليوم الآخر وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٨]، وقال: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]، ويندرج تحت هذا الإطار العام مجموعة من أهم مظاهر السعادة الأخروية، من بينها: الزخرفة عن النار، والفوز بالجنة، وتسليم الملائكة على أهل الجنة والترحيب بهم، وذهاب الهموم والأحزان، ونسيان البؤس والآلام، ونزع الغل من الصدور، والاشتغال بالملذات، والتمتع بالمسرات، ورؤية الله ﷻ، وحلول رضوانه على العباد، وهذه هي السعادة الأبدية الخالدة.

أما حديث القرآن عن السعادة الحقيقية الدنيوية فقد جاء بتعابير أخرى، من أبرزها: التعبير بالحياة الطيبة: قال ﷺ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وأحياناً يعبر عنها في صورة تحصيل البشريات العديدة، كقوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ * وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٤، ٦٥].

وأحياناً يعبر عنها في صورة الحصول على الرضا، كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ

(١) ينظر: كيمياء السعادة لأبي حامد الغزالي (ص ١٢٤) (ص ١٣٦) (ص ١٤٢)، التفسير الوسيط للزحيلي

الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴿١٠٠﴾ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿التوبة: ١٠٠﴾، ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿المجادلة: ٢٢﴾، إضافة إلى الأمن النفسي، والطمأنينة، والسكينة، وانشراح الصدر، وغير ذلك.

وهذا بخلاف السعادة الدنيوية الموهومة المزعومة الزائلة المتقلبة التي قد يحصل عليها البار والفاجر، كالسعادة بتحصيل النعيم المادي بالغنى ورخاء العيش، أو بالمنصب والملك والجاه، أو بالنساء والبنين، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وبالتالي، من أراد السعادة الحقيقية فليركن إلى ربه في كل أمور حياته: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وعليه السعي في تحصيل بعض الأعمال التي لا يجتمع معها الشقاء، ومنها: بر الوالدة، قال عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]، والدعاء، قال زكريا عليه السلام: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]، والقرآن وتلاوته، ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ٢]، واتباع الهدى، ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾^(١) [طه: ١٢٣]، وخشيه الله: ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ *

(١) يقول الإمام ابن عجيبة: "تابع القرآن قد أجبر من شقاء العيش في الدنيا لراحة قلبه من غموم الدنيا وظلماتها، وسيره في الأمور بقلبه في راحة؛ لأنه منشرج الصدر واسعه، وبدنه في راحة؛ لأنه ميسر عليه أمور الدنيا، تهيأ له في يسر لضمان الله، واكتنافه له، وكذا يجار في الآخرة من شقاء العيش في سجون النيران، أعادنا الله من ذلك". البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (٥٦٠/٢).

وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿[الأعلى: ١٠ - ١١]، والتقوى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى * وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: ١٤ - ١٨]^(١).

سياق آيات السعادة في القرآن الكريم:

وردت السعادة في القرآن الكريم في آيتين متتاليتين في سورة هود، الأولى بصيغة المبالغة (سعيد) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]، والثانية بصيغة الفعل الماضي (سعدوا) في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٨]، والشقي: هو الشخص المتلبس بالشقاوة وسوء الحال بسبب إثاره الضلالة على الهداية، والباطل على الحق، أما السعيد: فهو الشخص المتلبس بالسعادة والأحوال الحسنة بسبب إيمانه وعمله الصالح.

وعند النظر في سياق هذه الآيات نجد أن الله ﷻ ذكر جانباً من أحوال يوم القيامة، وأحوال الناس فيه فقال: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾، فحين يأتي هذا اليوم العظيم المخيف لا تتكلم فيه نفس بأي كلام إلا بإذن الله تعالى، ويكون الناس منقسمين فيه إلى قسمين: قسم شقي معذب مستحق للعقوبة بمقتضى الوعيد للعاصين، وكفر المعاندين، وسوء أعمالهم، وتفريطهم في حقوق الله ﷻ، وقسم سعيد متفضل عليه بالنعيم، ومستحق للجنة بموجب الوعد للطائعين، وإيمان العابدين، وعملهم الصالح، مع

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص ٤١٠)، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن

(٥٠٣/٢)، السعادة بين الوهم والحقيقة لناصر العمر (ص: ٣) .

فضل الله ورحمته، كما أخبر تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦] ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الزمر: ٢٧].

ثم بين الله تعالى حال الأشقياء وحال السعداء فقال عن الفريق الأول: فأما الأشقياء فجهم مستقرهم ومثواهم، بسبب اعتقادهم الفاسد وعملهم السيء، ماكثين فيها على الدوام، مدة بقاء السموات والأرض^(١)، ثم ذكر تعالى جزاء الفريق الثاني وهم السعداء فقال: وأما أهل السعادة وهم أتباع الرسل، فمأواهم الجنة، ماكثين فيها أبداً، مدة دوام السماء والأرض، بمشيئة الله تعالى، عطاء غير منقطع ولا ممنوع، ولكنه ممتد إلى غير نهاية، كقوله

(١) والمراد: التأييد ونفي الانقطاع على سبيل التمثيل، كقول العرب: أفعل كذا أو لا أفعله ما أقام ثبير، وما لاح كوكب، وما تغت حمامة. ويجوز أن يكون المراد: سماء الآخرة وأرضها، وهي دائمة مخلوقة للأبد، والدليل على أن للآخرة سماوات - ما هو فوق الخلائق - وأرض - ما هم مستقرون عليه - قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم ٤٨]، وقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر ٧٤]، ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلّهم ويظلمهم، وكل ما أظلك فهو سماء. قال ابن عباس: لكل جنة أرض وسماء. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ يراد بهذا الاستثناء الدلالة على الثبوت والاستمرار؛ لأنه ثبت خلود أهل الجنة والنار فيهما إلى الأبد من غير استثناء، والمقصود بذلك: بيان أن الخلود بمشيئة الله تعالى، ولا يخرج شيء في الدنيا والآخرة عن المشيئة الإلهية. وهو كقوله تعالى: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام ١٢٨] وقوله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف ١٨٨] وقوله: ﴿سَنَقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى ٦-٧]، والمراد بذلك كله تقييد الأحكام بمشيئة الله تعالى فقط، لا لإفادة عدم عمومها، وهذا هو الظاهر الراجح. قال الإمام الطبري: "من عادة العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبداً قالت: هذا دائم دوام السموات والأرض، وكذلك يقولون: هو باق ما اختلف الليل والنهار". ينظر: جامع البيان للطبري (١٥/٤٨١)، التفسير المنير للزحيلي (١٢/١٥٠).

تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾. [الانشقاق ٢٥ / ٨٤].

وكل من جزائي أهل النار وأهل الجنة دائم بمشيئة الله تعالى، فعذاب أهل النار في النار دائم مردود إلى مشيئته تعالى، وأنه بعدله وحكمته موافق لأعمالهم، وكذا ثواب أهل الجنة في الجنة يكون بحسب مشيئته تعالى أيضاً جزاء بما كانوا يعملون، إلا أنه تعالى أورد فرقاً في ختام آية كل من الفريقين، فقال عقب بيان حال الأشقياء: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ كما قال: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء ٢٣ / ٢١]، وقال عقب بيان حال السعداء: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ لتطيب القلوب، والإشارة إلى أن جزاء المؤمنين هبة منه تعالى وإحسان دائم^(١).

والناس ما بين شقي وسعيد، وذلك عائد إلى ما كُتب لكل إنسان من شقاوة أو سعادة في كتاب المقادير، ومضى به القضاء والقدر قبل إيجاد الخلق أولاً، ولما كسبوه من خير وشر ثانياً، وكل ميسر لما خلق له^(٢).

(١) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي (١٨ / ٣٩٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤ / ٣٥٠)، روح المعاني للألوسي (٦ / ٣٣٥)، زهرة التفاسير لأبي زهرة (٧ / ٣٧٥٥)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٧ / ٢٧٤)، (١١)، التفسير المنير للزحيلي (١٢ / ١٤٧).

(٢) عن علي عليه السلام قال: "كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخرقة، فنكس، فجعل ينكت بمخرقته، ثم قال: ما منكم من أحد، ما من نفس منقوسة، إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتب: شقية أو سعيدة، فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا ونندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل أهل السعادة، وأما من كان منا من أهل الشقاوة، فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة. قال: أما أهل السعادة فيسرون لعمل السعادة، وأما أهل

يقول الشيخ رشيد رضا: "الله تعالى يعلم الغيب، وعلمه بأن زيدا يدخل الجنة أو النار ليس معناه أن يدخلها بغير عمل يستحقها به بحسب وعده وحكمته، ولا أنه لا فرق فيما يعمل في الجزاء، وإنما يعلم الله المستقبل كله بجميع أجزائه وأطرافه، ومنه عمل العاملين وما يترتب على كل عمل من الجزاء بحسب وعده ووعيده في كتابه المنزل وكتابته للمقادير، ولا تناقض ولا تعارض بينهما، ونحن لا نعلم الغيب، ولكن النبي ﷺ علمنا ما نعلم به ما سيكون في الجملة، وهو أن الجزاء بالعمل، وأن كل إنسان ميسر له، ومسهل عليه ما خلقه الله لأجله من سعادة الجنة وشقاوة النار، وأن ما وهبه للإنسان من العزم والإرادة يكون له من التأثير في تربية النفس ما يوجهها به إلى ما يعتقد أن فيه سعاده" (١).

=

الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة. ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ الآية. "رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: الجنائز - باب: موعظة المحدث عند القبر - رقم: ١٣٦٢ - (٩٦/٢).

(١) تفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا (١٣١/١٢).

المبحث الأول

أسباب ومقومات السعادة، وعقبات الطريق.

من أراد أن ينال السعادة، ويتطَّلَعَ لأسرع وأوسع وأصلح طرقها، ليحظى بأشرف منازلها، ويقف على أصلها وجوهرها ومكمنها، ويحصل على مفاتيح أبوابها، فعليه أن يتعرف على أسبابها، ويسعى في تنفيذها^(١).

والحقيقة أن كثيراً من الناس يظنون أن السعادة تكون في جمع المال وكنزه، أو باللهث وراء المناصب والشهرة وتقليد العصاة والتشبه بهم، أو باتباع الهوى والنفس والشهوات وغيرها من المتاع القليل الزائل، لكن السعادة الحقيقية مرتبطة بمعاني النعيم والجنة والفوز برضا الخالق سبحانه، مع ترسيخ الإيمان والتقوى والطاعة والتسليم لقضائه وقدره، والاجتهاد في العمل الصالح ونيل الخير، والتحلي بالأخلاق الحسنة، واستشعار النعم وشكرها، ومجاهدة النفس، والسعي لتحقيق القدر المادي اللازم للسعادة بطريق الحلال، ومعرفة قيمة الوقت وأهمية تنظيمه، وطلب العلم ومدارسته وتعليمه، والحرص على التداوي والوقاية، والأخذ بالعزم والحزم في الأمور كلها.

والباحث بحق عن السعادة سيقف على الكثير من الأسباب التي تعينه في دربه الطويل، ومن أجلها وأشرفها ما يلي:

(١) الإيمان والتقوى، هما أقوى أسباب السعادة، لأنهما يمنحان صاحبهما النور، والأمن، والقوة، والبشرى، والهداية، والولاية، والفرج، والتيسير، وسعة وبركة الرزق،

(١) من يُرد أن ينال السعادة ولم يأخذ بأسبابها يصدق عليه قول أبو العتاهية:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها *** إن السفينة لا تجري على اليبس

ينظر: الدر الفريد وبيت القصيد للمستعصمي (٥/٣١٥).

ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١) [يونس: ٦٢ - ٦٤]، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، وقوله: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٢) [آل عمران: ١٠٢]،

(١) قال ﷺ: "إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشَّهَدَاءُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَعَلَّنَا نَحْبُهُمْ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَمْوَالٍ وَلَا أَنْسَابٍ، وَجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنْابِرٍ مِنْ نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ، ثُمَّ قُرَأَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾"، رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين: كتاب: البر والصلة - وأما حديث عبد الله بن عمرو - رقم: ٧٣١٨ - (١٨٨/٤) - وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والولي: هو المطيع لله، فكل من كان تقياً كان لله ولياً، قال ابن عباس ﷺ: "أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ". ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٧٨).

(٢) قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. بامثال أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه حسب الطاقة، واتخاذ وقاية تقيك مما تخافه وتحذره، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]، وقال: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩]. قال الإمام ابن كثير: "فَإِنَّ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ وَتَرَكَ زَوَاجِرَهُ، وَفَقَّ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ

=

وقول النبي ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"^(١)، ويقول الحُطَيْثَةُ العبسي:

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ *** وَلَكِنَّ التَّقَى هُوَ السَّعِيدُ
وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا *** وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْآتَقَى مَزِيدٌ^(٢)

(٢) العمل الصالح: يُعد الطريق الأظهر والأوسع للوصول إلى رحاب السعادة، فيه يحصل العبد على البشريات، والخيرات، والمغفرة، والأجر، والجنان، والتمكين، فضلاً عن صلاح الحال والبال، والمحبة، والطمأنينة، والسكينة، وذهاب الخوف والهم والغم، والبعد عن الخسران، يقول الحق سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥]، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج: ٥٠]، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي

=

من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته، ومخرجه من أمور الدنيا، وسعادته يوم القيامة، وتكفير ذنوبه، وهو محوها وغفرها وسترها عن الناس، وسبباً لنيل ثواب الله الجزيل". تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤٣).

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: الإيمان - باب: حلاوة الإيمان - رقم: ١٦ - (١/١٢).

(٢) ينظر: الحماسة البصرية لأبي الحسن البصري (٢/٦٧)، لباب الآداب لأسامة بن منقذ (١/٢٢).

ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيَدْلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿النور: ٥٥﴾، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٢ - ٣] .

فالعمل الصالح رحلة لا يزال المؤمن يكابدها ويتقلب فيها حتى الممات: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] .

وهناك الكثير من الأعمال والطاعات والعبادات التي يمكن أن يستعين بها العبد للوصول إلى السعادة المرجوة كالطهارة المادية والمعنوية^(١)، والتوبة والإنابة، والالتجاء إلى الله، والاعتكاف^(٢)، والذبح له سبحانه^(١)، وبر الوالدين^(٢)، وصلة الأرحام، وإصلاح ذات

(١) فهي سبيل للقرب والمحبة والرعاية والتحسين والإعانة على الطاعات: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فتكون الطهارة المادية الجسدية من القاذورات والنجاسات والخبائث بالاغتسال والمحافظة على الوضوء في كل الأوقات والأحوال، والطهارة المعنوية الروحية بالتوبة والبعد عن الكفر والشرك والضلال والذنوب الصغيرة والكبيرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ... وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤] .

(٢) الاعتكاف: هو لزوم المسجد قربة وطاعة لله تعالى، وهو سبب لجمع الخاطر والانقطاع عن الغير إلى الحق، والإقبال على العبادات، وموجب البعد عن الخلق، وواسطة لزوال التفرقة، والهموم المغايرة،

=

البين، والدلالة على الخير وفعل المعروف وترك المنكر، وغيرها من العبادات الجالبة للسعادة^(٣).

٣ التحلي بالأخلاق الإسلامية: كالإحسان إلى العباد ومحبتهم، والتواضع والتبسط معهم، والتبسم عند لقاءهم، ومخاطبتهم بالكلمة الطيبة^(٤)، وإنزال الناس منازلهم، والتنفيس عن معسرهم^(٥)، والكرم والحلم والعفو والصفح والصدق وكظم الغيظ والإعراض عن

=
قال الله تعالى: ﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وكان النبي يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده. ينظر: سفر السعادة للفيروزابادي (ص ١٣٤).

(١) الذبائح التي تحصل بها القرية، ثلاثة أنواع: أحدها: الهدى، الثاني: الأضحية، الثالث: العقيقة، وفيها استدعاء للسعادة والفرح والتوسيع على النفس والآخرين، ينظر: سفر السعادة للفيروزابادي (ص ١٦٢).

(٢) قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

(٣) وللمزيد ينظر: سفر السعادة للفيروزابادي (ص ٤٥)، غاية الغايات وطريق السعادات حسن الخاتمة لأزهري أحمد (ص: ١١)، السعادة بين الوهم والحقيقة لناصر العمر (ص: ١٦).

(٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما رأيت النبي ﷺ مستجمعا قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم". رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: الأدب - باب: التبسم والضحك - رقم: ٦٠٩٢ - (٨/ ٢٤).

(٥) قال ﷺ: "من سره أن ينجيهِ الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر، أو يضع عنه". رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: البيوع - باب: فضل إنظار المعسر - رقم: ٣٢ / (١٥٦٣) - (٣/ ١١٩٦).

الجاهلين^(١)، وغيرها من الآداب والأخلاق التي تحدث عنها الله ﷻ في كتابه، وأمر بها عباده الصالحين، واتصف بها النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]^(٢).

٤) الرضا والتسليم لقضاء الله وقدره^(٣)، وهو أشرف طريق لأهل السعادة، وأعلى صفة

(١) قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، ﴿وَالْكََاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

(٢) وللمزيد ينظر: سفر السعادة للفيروزابادي (ص ٢٢٧)، غاية الغايات وطريق السعادات حسن الخاتمة لأزهري أحمد (ص: ٩)، السعادة بين الوهم والحقيقة لناصر العمر (ص: ٢٠).

(٣) قال ﷺ: "عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له". رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق - باب: المؤمن أمره كله خير - رقم: ٦٤ / (٢٩٩٩) - (٤ / ٢٢٩٥).

من صفات السعداء، فبه يصل العبد إلى حلاوة الإيمان وجماله^(١)، وفيه دواء الأحران، ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]، ومن أهم مظاهر الإيمان بالقضاء والقدر افتقار العبد لربه وغناه به^(٢)، والاعتماد عليه، والركون إليه، والثقة به وفي حسن تدبيره، والانقياد لحكمه، والاستغناء عن الخلق، مع است فراغ الوسع وبذل الجهد في الأخذ بالأسباب المتاحة قدر الإمكان، مع عدم الاعتماد على الأسباب وحدها، فإذا خرج الحكم عن اختيار العبد وطاقته استسلم، وترك كثرة المنازعة والمخاصمة لحكم الله ﷻ، وعلم أن النفع والضرر بيده ﷻ، وأن الخوف والرجاء لا يصرفان لغيره: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ

(١) قال ﷺ: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً". رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: الإيمان - باب: الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، فهو مؤمن، وإن ارتكب المعاصي الكبائر - رقم: ٥٦ / (٣٤) - (٦٢ / ١).

(٢) كان ﷺ يقول في استفتاح صلاة الليل: "اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ"، وقال يحيى بن معاذ: "الفقر أن لا يستغني بشيء غير الله"، وسئل محمد الفرغاني عن الافتقار إلى الله والاستغناء به أيهما أكمل؟ فقال: "إذا صحَّ الافتقار إلى الله صحَّ الاستغناء به، وإذا صحَّ الاستغناء به صحَّ الافتقار إليه، فلا يقال أيهما أكمل لأنه لا يتم أحدهما إلا بالآخر". والاستغناء بالله هو عين الفقر إليه، وهما عبارتان عن معنى واحد؛ لأن كمال الغنى به هو كمال عبوديته، وحقيقة العبودية كمال الافتقار إليه من كل وجه، وهذا الافتقار هو عين الغنى به، فليس هنا شيئان يُطلب تفضيل أحدهما على الآخر، وإنما يتوهم كونهما شيئين بحسب المستغني عنه والمفتقر إليه. فهي حقيقة واحدة ومقام واحد يُسمى "غنى" بالنسبة إلى فراغه عن الموجودات الفانية، و"فقراً" بالنسبة إلى قصر همته وجمعها على الله ﷻ. ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادت لابن قيم الجوزية (٧٤ / ١)، (٩٨ / ١).

فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿[الفرقان: ٢]﴾، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، فيصل بذلك كله إلى مقام حدوده قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فََرَحَ بِهَا وَإِنْ تَصَبَّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: ٤٨] ^(١).

ثم إن المؤمن الفطن يستطيع أن يضم إلى ذلك المقام بعض الجوانب الداعمة كالصبر، والرضا، والتفاؤل ^(٢)، وحسن الظن بالله، وأن تكون الآخرة كل همه فيعمل لها ^(٣)،

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٤٨٥)، مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية (٣/ ١٤٩٠) (٣/ ١٥٢١)، طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية (١/ ٧٢)، السعادة بين الوهم والحقيقة لناصر العمر (ص: ١٧) .

(٢) قال ﷺ: "لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح، الكلمة الحسنة"، وكان ﷺ يحب الحلواء والعسل، والشراب البارد الخلو، ويحب حُسن الصوت بالقرآن والأذان، وقد كانت العرب تقلب الأسماء تطيرًا وتفاؤلًا، فيسمون اللديغ: سليمًا؛ تفاءلوا باسم السَّلامة، ويسمُّون العطشان: ناهلًا، أي: سِينْهَل - والنَّهْل: الشُّرب؛ تفاءلوا باسم الرِّي، ويسمُّون الفلاة: مفازة، أي: منجاة؛ تفاءلوا بالفوز والنجاة، ولم يسموها مهلكة؛ لأجل الطَّيرة. وسئل بعض العلماء عن الفأل؟ فقال: أن تسمع وأنت قد أضللتَ بعيرًا أو شيئًا: يا واجد، أو وأنت خائف: يا سالم. أو وأنت مريض: يا سالم. ينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية (٢/ ٢٤٦) .

(٣) قال ﷺ: "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له". رواه

أما غير المؤمن فعنده ثلاثة مشاعر مضمّنة؛ التحسّر على الماضي، والسّخط على الحاضر، والخوف من المستقبل، ولذا قيل: "مساكين أهل الدّنيا، خرجوا من الدّنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، فقيل: وما هو؟ قال: معرفة الله"^(١)، وقال آخر: "لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه - من النعيم والسعادة - لجالدونا عليه بالسيّوف"^(٢).

٥) استشعار نعم الله وشكرها^(٣)، فمكمنُ السعادة يظهر في الإحساس بنعم الباري سبحانه على خلقه، ومن أعظمها: نعمة الهداية للإسلام، والحب للإيمان، والتوفيق للطاعة، والإعانة على العبادة، والرجوع عن المعاصي والذنوب بتيسير التوبة والاستغفار والخضوع، وتكثير الحسنات، والعفو عن السيئات، والقناعة بالرزق، والحصول على بعض متاع الدنيا كالمرأة الصالحة والمسكن والمركب الصالح^(٤)، والأمن والصحة البدنية والنفسية

=

الإمام الترمذي في سننه: أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ - باب: ما جاء في صفة أواني الحوض - رقم: ٢٦٣٣ - (٤/٤٥٥)، وقال الشيخ الأرنبوط: حديث صحيح لغيره. وقديما قالوا: "ثلاثة إن جمعتها أرحت نفسك: الشكر على النعم، والصبر على الابتلاء، والاستغفار من الذّنوب"، وكتب الفاروق إلى أبي موسى الأشعري يقول له: "أمّا بعد، فإنّ الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر". ينظر: الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري (٢/٣٤٥).

(١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لابن رجب (١/٤٧٣).

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص ٢٩٩).

(٣) كان النبي ﷺ إذا جاءه أمر سرور - أو بشر به - خر ساجدا شاكرًا لله. رواه الإمام أبو داود في سننه: أول كتاب الجهاد - باب: في سجود الشكر - رقم: ٢٧٧٤ - (٤/٤٠٤) - وقال الشيخ الأرنبوط: حديث صحيح لغيره.

(٤) قال ﷺ: "من سعادة ابن آدم ثلاثة: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء". رواه الإمام الحاكم في المستدرک على

=

والروحية والعقلية، وغيرها من الآلاء والنعم الظاهرة والباطنة التي أسداها ﷺ لعباده بفضلِهِ
وكرمه ابتداءً منه قبل السؤال ومن غير استحقاق، أو بعد طلب منهم وسؤال، قال الحق
سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣]، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي
الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦]، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤]،
﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤]، ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ
أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:
٧٨]، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان:
٦٢].

وليعلم العبد أنه ما نزل عقاب أو أزيلت نعمة إلا بسبب كفران ومعصية: قال تعالى:
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣]، ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ
مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]،
﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ
كَفُورٌ﴾ [الشورى: ٤٨]، ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

=

الصحيحين: كتاب قسم الفيء - أما حديث أبي هريرة - رقم: ٢٦٤٠ - (١٥٧ / ٢) - وقال الإمام
الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي.

[النساء: ١٤٧]، ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٥ - ٧]، ويقول الشاعر:

إذا كنت في نعمة فارعها *** فإن الذنوب تزيل النعم

وإذا عرنت مصيبة فاصبر لها *** صبر الكريم فإنه بك أرحم

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما *** تشكو الرحيم الذي لا يرحم^(١)

فإذا علم العبد حقيقة الأمر، وعرف من أين أتى، ومن أي ثغرة سرق متاعه وسلب استحياء من نفسه - إن لم يستحي من الله - أن يشكو أحداً من خلقه، أو يتظلمهم، أو يرى مصيبته وآفته من غيره.

٦) جهاد النفس: إن جوهر السعادة الحقيقية هو معرفة النفس وإلزامها بالتمسك بالدين، والانتهاز من الوحيين، وسلوك جادة الطريق المستقيم، يقول الإمام الأوزاعي: "عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإيائك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي، وأنت على طريق مستقيم"^(٢). فمفتاح معرفة باب السعادة هو معرفة النفس، وترويضها حتى تطيب وتصفو، كما قال ﷺ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، ويقول الخليفة عمر بن عبد العزيز: "إن لي نفساً تواقفة، وما حققت شيئاً إلا تاقّت لما هو أعلى منه، تاقّت نفسي إلى الزواج من ابنة عمي فاطمة بنت

(١) تنسب هذه الأبيات لعلي بن أبي طالب، ولعبد الله بن المبارك، ينظر: الدر الفريد وبيت القصيد للمستعصمي (٢/ ٣٩٥)، (١٠/ ٤١).

(٢) الترغيب والترهيب لإسماعيل الأصفهاني (٢/ ١٦٧).

عبد الملك فتزوجتها، ثم تآقت نفسي إلى الإمارة فوليتها، وتآقت نفسي إلى الخلافة فنلتها، والآن تآقت نفسي إلى الجنة فأرجو أن أكون من أهلها" ^(١)، وأنت أيها العبد المسلم إلى ماذا تتوق نفسك؟ وما الذي يفرحك؟ أسئلة تحتاج منك أن تجلس مع نفسك لتعيد برمجة أهدافك وأولوياتك لتعرف بماذا ينبغي أن تفرح؟ وتذكر قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١، ٢]، وكان من دعاء النبي ﷺ: "اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت" ^(٢)، ومن الأمور التي تروض النفس وتكسيها الغنى: السعي في الحصول على محبة الله ﷻ، فمن أحب غير الله عذب به، وحبس معه، وضيق عليه، ولم يكن في العالم أمر عيشة ولا أسوأ حظاً منه، ومن أراد سرور النفس، ولذة القلب، ونعيم الروح، ودواء الهموم، فعليه بمحبة الله ﷻ دون سواه.

أما خبيث النفس فلن يجد طعم السعادة أبداً إلا بنفس طيبة، كما جاء عن النبي ﷺ: "وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النِّعَمِ" ^(٣)، ويكون ذلك بالتسامح والمحبة والتجاهل عن الأخطاء،

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (٣٣١/٥).

(٢) رواه الإمام أبو داود في سننه: أبواب: النوم - باب: ما يقول إذا أصبح - رقم: ٥٠٩٠ - (٤٢١/٧) - وقال الأرئؤوط: إسناده حسن.

(٣) جزء من حديث رواه الإمام ابن ماجه في سننه: أبواب: التجارات - باب: الحث على المكاسب - رقم: ٢١٤١ - (٢٧٣/٣) - وقال الشيخ الأرئؤوط: إسناده حسن.

والترفع عن الزلات، فلا تحمل حقداً ولا كراهية، وبذلك تطيب النفس وتحلو الحياة، يقول الأستاذ الرافعي: "في جمال النفس يكون كل شيء جميلاً، إذ تلقي النفس عليه من ألوانها، فتقلب الدار الصغيرة قصراً؛ لأنها في سعة النفس لا في مساحتها هي، وتعرف لنور النهار عذوبة كعذوبة الماء على الظمأ، ويظهر الليل كأنه معرض جواهر أقيم للحوار العين في السماوات، ويبدو الفجر بألوانه وأنواره ونسماته كأنه جنة سابحة في الهواء، ففي جمال النفس ترى الجمال ضرورة من ضرورات الخليفة؛ ويكأن الله أمر العالم ألا يعبس للقلب المبتسم"^(١).

والجدير بالذكر أن الصحة النفسية للإنسان لا يأبه لأهميتها الكثيرون، ويغفلون سبل رعايتها وحفظها، مع أنها ركن أساس في تحقيق السعادة؛ لذلك حرص الإسلام على تربية النفس الفاضلة وتزكيتها بالخصال النبيلة، فكان من أهم ما سعى إليه هو تكوين النفس السوية المطمئنة الواثقة، وبين أن استواء النفس وقوامها يكون بالإيمان، ثم بالتحلي بالأخلاق الفاضلة، والابتعاد عن الخصال الذميمة كالغضب والكبر والعُجب والبخل والحرص على الدنيا والحسد والحقد وغير ذلك مما يكسب الاضطراب والقلق، ثم اعتنى الشرع بوضع الوسائل الكفيلة للحفاظ على الصحة الروحية، فندب المؤمن إلى ذكر الله تعالى على كل حال، وأوجب عليه الحد الأدنى الذي يكفل له غذاء الروح، وذلك بشرع الفرائض من الصلاة والصيام والزكاة والحج، ثم فتح له باباً واسعاً بعد ذلك بالنوافل وأنواع القربات، وهذه السبل والتشريعات تربط الإنسان بربه، وتعيده إليه كلما جرفته موجات الدنيا.

(١) وحي القلم لمصطفى الرافعي (١/ ٤٣).

وقد نهى الشارع الحنيف وحذر من الأمور التي تؤدي إلى سقم النفس والروح وضعفها، فنهى عن اتباع الأهواء والشبهات والشهوات والانهماك في الملذات؛ لأنها تعمي القلب وتجعله غافلاً عن طريق الله، لذلك قال الله تعالى في وصف الكفار: ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢]، وقال: ﴿وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَآبَقَى﴾ [طه: ١٣١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْمُسْوَءُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِمَّا ظَنَّنَا أَنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وأعظم مَنَّة من الله ﷻ لمن جاهد نفسه أن يهبه انشراح الصدر وسلامته من الأدغال: فالقرآن الكريم فيه آيات عديدة تبرز مكانة ومقام الانشراح، منها: ما حكاه الله عن موسى وطلبه لهذا المقام في قوله: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥]، وقال تعالى ممتناً على رسوله محمد ﷺ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]، فانشراح الصدر وطلبه من علامات السعادة وصفات السعداء، وينبغي أيضاً أن يُعلم أن من أجل أسباب انشراح الصدر هو: التوحيد، وبحسب كماله وتمامه، وقوته، وزيادته، يزيد انشراح الصدر، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فلا جرم أن يكون التوحيد، والهداية، من أعظم أسباب انشراح الصدر، والشرك والضلالة هن أعظم أسباب الضيق. ومن جملة أسباب انشراح الصدر، نور

يجعله الباري ﷻ في قلب العبد، وهو نور الإيمان، فمتى ما وقع في القلب دخله الفرح، والسرور، والانشراح والسعة، وإذا فُقد ذلك النور وقع العبد في ضيق الصدر، وابتلى بالشدة، والمشقة والشقاوة. وانشراح الصدر مرتبط بأمور خمسة: غفران الذنب: (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ)، والسمعة الطيبة: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)، والتفاؤل: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)، والعمل المتجدد: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ)، والرجوع إلى الله: (وَالِى رَبِّكَ فَارْغَبْ). ولك أن تعلم أن جناحي السعادة: الزواج الناجح والأصدقاء المخلصين، وقلب السعادة: الرضا بالقضاء، ورأس السعادة: العمل المنتج الدائم، ورثة السعادة: النجاح، ويد السعادة: العطاء، وقمة السعادة: لقاء الله وهو راض عنك^(١).

٧) طلب العلم ومدارسته وتعليمه: ويدخل تحته كل العلوم الدنيوية النافعة والدينية الشرعية، فالعلماء العارفون بالله هم السعداء الحقيقيون؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. ومقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]، وقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه.

وقد أمر الله ﷻ أهل العلم بالفرح بما آتاهم، وأخبر أنه خير مما يجمع الناس، فقال

(١) ينظر: كيمياء السعادة لأبي حامد الغزالي (ص ١٢٤)، سفر السعادة للفيروزابادي (ص ١٢٣)، السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح لعبد الرحيم المالكي وأمين الشقاوي (ص ١٢).

تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]،
وَفُسِّرَ فَضْلُ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ، وَرَحْمَتُهُ بِالْقُرْآنِ، وَالْإِيمَانُ وَالْقُرْآنُ هُمَا الْعِلْمُ النَّافِعُ وَالْعَمَلُ
الصَّالِحُ، وَهُمَا الْهُدَى وَدِينُ الْحَقِّ، وَهُمَا أَفْضَلُ عِلْمٍ وَأَفْضَلُ عَمَلٍ. وَقَدْ شَهِدَ ﷺ لِمَنْ آتَاهُ
الْعِلْمُ بِأَنَّهُ قَدْ آتَاهُ خَيْرًا كَثِيرًا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وَالْحِكْمَةُ هِيَ: إِصَابَةُ الْحَقِّ وَالْعَمَلُ بِهِ، فَهِيَ الْعِلْمُ النَّافِعُ
وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَقَدْ عَدَّدَ سَبْحَانَهُ نِعَمَهُ وَفَضْلَهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَجَعَلَ مِنْ أَجْلِهَا أَنْ آتَاهُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]. وَذَكَرَ سَبْحَانَهُ عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ
بِهَذِهِ النِّعْمَةِ، وَأَمَرَهُمْ بِشُكْرِهَا، وَأَنْ يَذْكُرُوهُ عَلَى إِسْدَائِهَا إِلَيْهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا
فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ
تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥١ - ١٥٢].

فَالْعِلْمُ إِذَا حَيَاةٌ وَنُورٌ، وَالْجَهْلُ مَوْتُ وَظُلْمَةٌ، وَالشَّرُّ كُلُّهُ سَبَبُهُ عَدَمُ الْحَيَاةِ وَالنُّورِ،
وَالْخَيْرُ كُلُّهُ سَبَبُهُ النُّورُ وَالْحَيَاةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ
فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٨ - ٢٩]، وَقَالَ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا
يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى
الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ
نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وَقَالَ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ

مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿المائدة: ١٥ - ١٦﴾، وقال: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "عليكم بالعلم قبل أن يُرْفَعَ، ورفعهُ هلاكُ العلماء، فوالذي نفسي بيده ليوَدَّنَ رجالٌ قُتِلُوا في سبيلِ الله شهداء أن يبعثهم الله علماء؛ لما يرون من كرامتهم، وإنَّ أحدًا لم يولد عالماً، وإنما العلمُ بالتعلُّم" ^(١)، وقال لقمانُ لابنه: "يا بني، جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك؛ فإنَّ الله تعالى يحيي القلوبَ الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرضَ بوابلِ المطر" ^(٢).

وقد ثبت أنَّ بقاء الدِّين والدنيا في بقاء العلم، وبذهاب العلم تذهب الدنيا والدِّين، قال ابن شهاب الزهري: "الاعتصامُ بالسُّنة نجاة، والعلمُ يُقبَضُ قبْضاً سريعاً، فَنَعُشُ العلمُ ثباتُ الدِّين والدنيا، وذهابُ العلم ذهابُ ذلك كله" ^(٣). وقال أبو العالية: "كنتُ آتي ابنَ عباس وهو على سريره وحوله قريش، فيأخذُ بيدي فيجلسني معه على السرير، فتغامزُ بي قريش، ففَطِنَ لهم ابنُ عباس فقال: كذا هذا العلم، يزيدُ الشريفَ شرفاً ويُجِلُّ المملوكَ على الأسرة" ^(٤). والمُشاهد في الدنيا أنَّ النفوسَ الجاهلة التي لا علم عندها قد أَلْسَت ثوبَ الذلِّ، والإِزراءَ عليها والتنقُّصَ بها أسرعُ منه إلى غيرها، وهذا أمرٌ معلومٌ عند الخاصِّ والعام، بل أنَّ كثيراً من الأخلاق التي لا تُحَمَدُ في الشخص، بل يُذَمُّ عليها، تُحَمَدُ في طلب العلم؛ كالمَلَق، وترك الاستحياء، والذلِّ، والتردُّد إلى أبواب العلماء، ونحوها. قال ابن عباس: "ذلتُ طالباً

(١) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي (ص ٥٠).

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٤٣٩).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (٣/ ٣٦٩).

(٤) المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري (٢/ ١٨٣).

فعززتُ مطلوباً^(١)، وقال أيضاً: "وجدتُ عامّةَ علم رسول الله ﷺ عند هذا الحيّ من الأنصار، إن كنتُ لأَقِيلُ عند باب أحدهم، ولو شئتُ أُذِنَ لي، ولكن أبتغي بذلك طيب نفسه"^(٢)، وإنما حُمِدَت هذه الأخلاقُ في طلب العلم؛ لأنها طريقٌ إلى تحصيله، فكانت من كمال الرجل ومُفَضِّيةً إلى كماله.

ومن نال شيئاً من شرف الدنيا والآخرة فإنما ناله بالعلم، ومن أعظم الأدلة على شرف العلم وفضله وعِظَم ثمرته؛ أن ثوابه يصلُ إلى الرجل بعد موته ما دام يُتَنَفَّعُ به، فكأنه حيٌّ لم ينقطع عمله، مع ما له من حياة الذكر والثناء؛ فجريان أجره عليه إذا انقطع عن الناس ثواب أعمالهم حياة ثانية، قال رسول الله ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"^(٣)، وقال رسول الله ﷺ: "إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالا وعِلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم الله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علماً يخبط في ماله بغير علم ولا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم الله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٤٧٤).

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة (٢/ ١٣٧).

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته رقم: ١٤ /

(١٦٣١) (٣/ ١٢٥٥).

مالا ولا علما فهو يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء" (١).
فقسّم الحديث السعداء قسمين، وجعل العلم والعمل بموجبه سبب سعادتهما، وقسّم
الأسقياء قسمين، وجعل الجهل وما يترتب عليه سبب شقاوتهما؛ فعادت السعادة بجملتها
إلى العلم وموجبه، والشقاوة بجملتها إلى الجهل وثمرته، فالعلم إذاً يجعل كل زاوية من
زوايا القلب، أوسع، وأشرح من السماء والأرض، وكلما زاد علم الشخص، زاد انشراح
صدره وسعادته، وخاصة العلم الشرعي الذي هو ميراث الأنبياء، فأهله أوسع قلباً، وأطيب
عيشاً، وأحسن خلقاً، وأكثر إنابة، ومحبة للحق (٢).

موانع ومعوقات السعادة:

لا ريب أن ثمة موانع كثيرة للسعادة تحول دون الوصول إليها، والتنعم بالعيش فيها،
وتجلب على العبد نكدًا وهمًا وغمًا وعذابًا في الدنيا والآخرة، وعلى رأسها: الكفر، والشرك،
والإعراض عن ذكر الله وعبادته (٣)، والنفاق، والرياء، والكبر، والعجب، والحسد، والغيرة،

(١) رواه الإمام الترمذي في سننه: أبواب الزهد عن رسول الله - باب: ما جاء "مثل الدنيا مثل أربعة نفر" -
رقم: ٢٤٧٨ - (٣٥٩/٤)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الأرناؤوط: حديث
حسن.

(٢) وللمزيد ينظر: اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص ١٤)، مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية
(١/ ١٣٩) (١/ ٥٠٠).

(٣) قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾، فمجالس الذكر مجالس
الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، وقلة ذكر الله من صفات المنافقين: ﴿إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ
إِلَّا قَلِيلًا﴾، وكل من أعرض عن الاهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله، فلا بد أن يقول يوم القيامة: ﴿أَنْ

والحقد، والغل^(١)، والغضب^(٢)، والظلم، والتشاؤم، وسوء الظن، والخوف، والتعلق بغير الله عز وجل^(٣)، وغيرها من المعاصي والآثام والجرائم والمخالفات، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وقال الإمام ابن عجيبة: "السعادة على قسمين: سعادة الظاهر، وسعادة الباطن، والشقاوة كذلك، أما سعادة الظاهر ففي الدنيا بالراحة من التعب، وفي الآخرة بالنجاة من

تَقُولُ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ * أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (الزمر ٥٦ - ٥٩).

(١) قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق: ٥). وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء: من الآية ٥٤). وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحشر: من الآية ١٠). وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ (الأعراف: من الآية ٤٣).

(٢) الغضب مانع من موانع السعادة والانشراح، ولذلك امتدح الله المؤمنين قائلاً عنهم: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الشورى: ٣٧).

(٣) إن الخوف من غير الباري سبحانه يورث الشقاء والذلة، ولذلك قال الله عن بني إسرائيل: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ (البقرة: ١١٤) وقال: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥). وقال إبراهيم لقومه: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ [الأنعام: ٨٠]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

العذاب، وأما سعادة الباطن ففي الدنيا براحة القلب من كد الهموم والأحزان، وباليقين والاطمئنان في حضرة الشهود والعيان، وفي الآخرة بدوام النظر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وشقاوة الظاهر باتصال الكد والتعب، وشقاوة الباطن بالبعد عن الله، واقتراقه عن حضرة مولاه" ^(١).

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (٥٥٩ / ٢).

المبحث الثاني

طرق تحصيل السعادة النهارية

المسلمون في هذه الحياة يسعون دائماً لإصلاح أحوالهم، وإسعاد أنفسهم، وجبر خواطرهم، وإراحة بالهم، ويعلمون أن القرآن الكريم قد بيّن وأشار في طياته سبل ذلك، والبعض منهم بعد بحث وجهد وقف على بعضها، واقترب من الوصول إلى غايته المنشودة، وهنا أحاول جمع شتات هذه الطرق والخطوات والأعمال فأقربها وأضعها بين يدي الباحث عن السعادة فتكون عوناً له في دربه، وقسمتها وجعلت بعضها يمكن تحصيله في النهار وبعضها في الليل، وركزت على بيان الأعمال وتحديد أوقاتها مدعمة بآيات قرآنية تشير إلى المراد.

ونبدأ الحديث عن بعض الطرق التي يمكن تنفيذها وتطبيقها والسير من خلالها لتحصيل السعادة في النهار:

(١) الصلاة ومتعلقاتها: فبتتبع آيات القرآن الكريم نجد أنها حثت على المحافظة على الصلوات النهارية، بألفاظ عديدة كدلوك الشمس، والغدو، والضحي، والصلاة الوسطى، وجاء هذا في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى﴾ [الضحى: ١]، ولتحصيل السعادة من خلالها يجب على العبد الاجتهاد في تأديتها على

الوجه الشرعي المطلوب، بدء من الصلوات اليومية^(١) كصلاة الفجر^(٢) والضحى، والظهر^(٣) والعصر وبعض متعلقاتها كالسنن والنوافل، وكثرة السجود، وسجدة التلاوة، وسجدة الشكر، بالإضافة إلى الاهتمام بالصلوات الأسبوعية كصلاة الجمعة^(٤)، أو الموسمية كالعيد والاستسقاء وكسوف الشمس.

(١) العبادة المبهجة: قال عبد الله بن مسعود: "من سره أن يلقي الله غدا مسلما، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبىكم ﷺ سنن الهدى - أي طرائق الهدى - وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتن سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم..." رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: المساجد ومواضع الصلاة - باب: صلاة الجماعة من سنن الهدى - رقم: ٢٥٧ / (٦٥٤) - (١ / ٤٥٣).

(٢) صلاة الفجر على الصحيح هي أول صلاة في النهار؛ لأن صلاة العصر هي الوسطى، ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فلا بد أن تكون الفجر هي أول صلاة النهار، ولأن طلوع الفجر الثاني يبدأ به النهار الشرعي، ولذلك اتفق العلماء على وجوب الإمساك بطلوع الفجر الثاني، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقال الإمام ابن حجر العسقلاني: "وإنما المغرب في التحقيق من صلاة الليل، كما أن الفجر في الشرع من صلاة النهار، والله أعلم". فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (٣ / ٤٨).

(٣) قال ﷺ: "أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليم، تفتح لهن أبواب السماء"، رواه الإمام أبو داود في سننه: كتاب: الصلاة - باب: تفريع أبواب التطوع وركعات السنة باب: الأربع قبل الظهر وبعدها رقم: ١٢٧٠ (٢ / ٤٤٩) - وقال الأرئوط: حديث حسن لغيره.

(٤) قال ﷺ: "من غسل يوم الجمعة واغتسل، ثم بكر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، فاستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة؛ أجر صيامها وقيامها". رواه الإمام أبو داود في سننه: كتاب: الطهارة - باب: في الغسل للجمعة - رقم: ٣٤٥ - (١ / ٢٥٩) - وقال الشيخ الأرئوط: إسناده صحيح.

وثمره ذلك: تحصيل مجموعة من الفوائد تدفع بالعبد لنيل مراده من السعادة الحقيقية،

ومن بينها:

● أنها تقرب العبد من ربه ﷻ فتفتح له أبواب السعادة، وتبعده عن المعاصي والذنوب فتغلق أمامه أبواب الشقاء، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

● تحصيل الحسنات الجالبة للسعادة الخالدة في الآخرة والتنعم في الجنة، وتكفير السيئات المهلكة الموجبة لعذاب النار والجالبة للشقاء الأبدي، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَّمُونَ﴾ [المعارج: ٣٤، ٣٥].

● زيادة الرزق والفضل من الله ﷻ: قال الله تعالى ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٨].

● الظفر بالفوز والفلاح وملازمتهمما للعبد في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٩]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

● فتح باب المراقبة والارتباط بالله والشعور بحضوره وإحاطته؛ ليكون دافعاً للعبد لفعل الخيرات والمنع من الوقوع في المخالفات، والإعانة على الاهتمام بمضمون

الصلاة كالاهتمام بأدائها الشكلي، فيحافظ على وقتها وشكلها ومضمونها فيؤثر ذلك كله على حياته وصلاح نفسه ونقاء قلبه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤]، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

● الإعانة على صلاح الأبناء وتربيتهم ونشأتهم نشأة كريمة مستقيمة تفتح لهم كل أبواب الخير، جاء في القرآن عن إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾ [إبراهيم: ٤٠]. وقول لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [لقمان: ٧]، وتوجيه الأمر للنبي ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

● شحن طاقة العبد الإيمانية لإبعاده عن طريق الغفلة وتقوية صلته الدائمة بالله وتجديد عهده بربه في أول النهار ووسطه وآخره: (قرآن الفجر) و (الوسطى) و (ناشئة الليل): قال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨-٧٩]، ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦].

٢) الدعاء: باب رحب واسع يجب على العبد ولوجه والإكثار من التردد عليه، وتحري أوقاته الفاضلة في النهار، ومن أهمها: ساعة الإجابة يوم الجمعة من وقت صعود الإمام للخطبة إلى نهاية الصلاة، وكذلك آخر ساعة من نهاره بعد العصر، ونهار يوم عرفة، ووقت الانتظار يوميًا من بعد صلاة الفجر حتى شروق الشمس، وبين الأذان والإقامة، وفي السجود، ودبر الصلوات، ووقت نزول المطر، وغيرها مما يقع في النهار، وقد أوضحت بعض الآيات أن النهار من أوقات هذه العبادة العظيمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ

وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿[الأنعام: ٥٢]﴾، ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وثمره ذلك:

- حصول العبد على طلبه وسؤاله وما يرجوه من ربه، فيهنأ ويسعد^(١): قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر ٦٠]، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الآية [البقرة ١٨٦].
- كشف الكربات وإقالة العثرات وصرف السوء والشرور^(٢): قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ

(١) قال ﷺ: "ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل الله له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: يا رسول الله! إذا نكث، قال: الله أكثر". رواه الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين: كتاب: الدعاء والتسبيح والتكبير والتهليل والذكر - رقم: ١٨١٦ - (١/ ٦٧٠) - وقال الإمام الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد إلا أن الشيخين لم يخرجاه عن علي بن علي الرفاعي، وقال المحقق: إسناده جيد.

(٢) قال أبو عثمان النهدي: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول وهو يطوف بالكعبة: "اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبت علي الذنب والشقوة فامحني وأثبتني في أهل السعادة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب". قال العلماء: إن المحو والإثبات في صحف الملائكة، وأما علم الله سبحانه فلا يختلف، ولا يبدو له ما لم يكن عالماً به؛ فلا محو فيه ولا إثبات، وأن الله يكتب للعبد أجلاً في صحف الملائكة، فإذا وصل رحمه، زاد في ذلك المكتوب، وإن عمل ما يوجب

=

الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴿٦٢﴾ [النمل: ٦٢].

- التعلق بالله والقرب منه سبحانه، فيتعلم العبد أنه لن ينفعه أحد سواه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦٣﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

- التذكير بالأخوة الصالحة، وتوثيق العلاقات والروابط والمحبة بين المسلمين، ومن أبرز مظاهره الدعاء بظهر الغيب^(١): قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴿١٠﴾ [الحشر: ١٠]، وقال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى إخباراً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ [إبراهيم: ٤١].

٣) الحرص على الأذكار النهارية المتنوعة والإكثار منها^(٢)، والحث على قراءة القرآن: وهذه عبادة عظيمة يجب على العبد أن يستثمرها حق الاستثمار طوال نهاره، ويتزود منها ما

=

النقص، نقص من ذلك المكتوب. ينظر: جامع البيان للطبري (١٦/ ٤٨٢)، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة (٤/ ١٣٢).

(١) قال رسول الله ﷺ: "دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل". رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب - رقم: ٨٨ / (٢٧٣٣) - (٤/ ٢٠٩٤).

(٢) قال النبي ﷺ: "طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً". رواه الإمام ابن ماجه في سننه: أبواب: الأدب - باب: الاستغفار - رقم: ٣٨١٨ - (٤/ ٧٢١) - وقال الشيخ الأرئوط: إسناده صحيح.

استطاع في صباحه وإشراقه وبكوره، فلا ينسى قراءة القرآن وتدبره والعمل به^(١)، وأذكار الصباح اليومية، والإكثار من الباقيات الصالحات وخاصة الحمد والتسبيح^(٢)، كما أكد على ذلك القرآن الكريم، حين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، ﴿فَسَبِّحْهُنَّ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧]، ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦]، ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَادَّكَّرَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١]، ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ﴾ [النمل: ٩١ - ٩٢]. قال ابن مسعود: "لا تهذؤوا القرآن هذ الشعر، ولا تشروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة". وقال الحسن البصري: "أنزل القرآن ليُعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً". ينظر: شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ٤٠٧)، اقتضاء العلم للعمل للخطيب البغدادي (ص ٧٦).

(٢) التسبيح: تنزيه. والحمد: ثناء ومدح. ولا إله إلا الله: استحقاق وإخلاص، فلا معبود بحق إلا الله. والتكبير: تعظيم. ولا حول ولا قوة إلا بالله: استعانة واعتراف وتسليم. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]. قال ابن عباس: اذكروني بطاعتي، أذكركم بمعونتي، وذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه. وقال ابن عباس: افتتح الله الخلق بالحمد، وختمه بالحمد، فقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]. وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ١١١]. وقال عن أهل الجنة: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]. ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للشعلبي (١٩/٢)، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٩٢/١) (٩٧/٢).

أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ [مريم: ١١]، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]، ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩]، ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥]. ولا يغفل العبد عن الأذكار الأسبوعية كيوم الجمعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]^(١)، والموسمية كأيام التشريق: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وثمره ذلك:

- جلب الفرح والسُرور والراحة والطُمأنينة والأُنس: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وإذابة قسوة القلب: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]^(٢).
- الحصول على محبة الله وذكره لعبده: قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]^(٣).

(١) ومن أهم العبادات فيه: الاغتسال، والتطيب، ولبس أحسن الثياب، والتبكير للصلاة، وساعة الإجابة، وقراءة سورتي السجدة والإنسان في فجر يوم الجمعة.

(٢) قال عبد الله بن عون: "ذكرُ الناس داء، وذكرُ الله دواء". الترغيب والترهيب لإسماعيل الأصفهاني (٢/ ٥٨٩).

(٣) قال ﷺ: "يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منه". رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: التوحيد - باب:

● طرد قاطع السعادة وجالب الشقاوة وهو الشيطان، وحل عقده، والتحصن منه: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]. ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، وقال ابن عباس عند قول الله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ: "الشَّيْطَانُ جَائِثٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسَّوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ"﴾^(١).

● الفوز بالمنزلة الرفيعة، والأجر الكبير، وثقل الحسنات في الميزان، ومغفرة الذنوب والخطايا يوم القيامة: قال ﷺ: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُتِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]^(٢).

● حفظ العبد من الشرور، ودفعها عنه، قال تعالى: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ٢]، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

=
قول الله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقوله جل ذكره ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] - رقم: ٧٤٠٥ - (١٢١/٩).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٧٠٩/٢٤).

(٢) قال النبي ﷺ: "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها - عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله ﷻ". رواه الإمام ابن ماجة في سننه: أبواب: الأدب - باب: فصل الذكر - رقم: ٣٧٩٠ - (٧٠٥/٤) - وقال الشيخ الأرئوط: حديث صحيح.

[طه: ١٢٤] ^(١).

- التغلب على الشدائد، وإمداد صاحب الذكر بقوة القلب والبدن، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يفعله بدونه ^(٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥] ^(٣).

٤) إخراج الزكاة، والإكثار من الصدقات والإنفاق في وجوه الخير: فالسعيد بحق من

(١) قال النبي ﷺ: "من قال صباح كل يوم ومساء كل ليلة، ثلاثا، ثلاثا: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، لم يضره شيء". رواه الإمام ابن ماجه في سننه: أبواب: الدعاء - باب: ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى - رقم: ٣٨٦٩ - (٥/٣٥) - وقال الشيخ الأرئوط: إسناده حسن.

(٢) قال علي عليه السلام: "شكت فاطمة رضي الله عنها ما تلقى من أثر الرحا، فأتى النبي ﷺ سبي، فانطلقت فلم تجده، فوجدت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم، فقال: على مكانكما، فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: ألا أعلمكما خيرا مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعاً وثلاثين، وتسبحا ثلاثاً وثلاثين، وتحمدا ثلاثاً وثلاثين؛ فهو خير لكما من خادم". رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: الدعوات - باب: التكبير والتسبيح عند المنام - رقم: ٦٣١٨ - (٨/٧٠).

(٣) قال عبد الله بن مسعود عليه السلام: "من ضنَّ منكم بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن يجاهده، وخاف الليل أن يكابده، فليكثر من قول: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر". وقال جعفر بن محمد الصادق: "إذا جاءك ما تحب فأكثر من 'الحمد لله'، وإذا جاءك ما تكره، فأكثر من 'لا حول ولا قوة إلا بالله'، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار". وللمزيد ينظر: الزهد لأبي داود (ص ١٤٩)، المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري (٤/٥٣٠)، الترغيب والترهيب لإسماعيل الأصفهاني (٢/٥٩٢)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لابن رجب (١/٤٧٣).

نظر في عواقب الأمور وما هو قادم عليه، فيتجهز له ويعد له العدة، ويعلم أن المال الذي في يديه إن وجهه في مصارف الخير سيكون معين له في الدنيا وطوق للنجاة في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ * وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١] .

وثمرة ذلك هي:

● تطهير العبد من الأنانية والبخل والاستئثار والقسوة، وتركية نفسه، وتنمية وتحسين الجوانب المالية والروحية، والحرص على إدخال السرور والسعادة على المحتاجين بالعطاء والتكافل والرعاية والشعور بأحوالهم، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، وقال تعالى في صفة المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧] .

● البركة والإخلاف على العبد في الدنيا بالمال أو القناعة، وفي الآخرة بالجزاء المضاعف، فهي تجارة رابحة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقال: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢٧٢﴾، وقال: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوفِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠]، ﴿وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

● إظهار انقياد العبد بتنفيذ ما أمر الله به من حث على الإنفاق في وجوه الخير: قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقال جل شأنه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

● إزالة ثقل الذنوب والآثام بمغفرتها: قال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]. وقال تعالى: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

● ذهاب الهم والغم والقضاء على أحزان الدنيا وأهوال الآخرة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، وقال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

ومن أبواب الصَّدقات: بناء المساجد وعمارتها، وكفالة الأيتام، والإنفاق على الجهاد في سبيل الله، وإنظار المُعسرين، ومساعدة المحتاجين، وتفطير الصائمين، وصدقة الزرع، وسقيا الماء.

٥) الحرص على صيام الفرض والإكثار من النافلة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥] ^(١).
وثمره ذلك:

● تطبيق وتقوية جانب الرقابة الداخلية الذاتية المانعة من ولوج الشبهات والشهوات والمحارم، والجالبة للحرية والانضباط والمنافع الروحية والأخلاقية والصحية للإنسان ولطبقات مجتمعه التي يتعايش معها حتى يصل إلى السعادة الحقيقية، فضلاً عن المغفرة وما أعده الله من جزاء للصائمين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة: ١٨٣-١٨٤]، ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ

(١) قال رسول الله ﷺ: "قال الله ﷻ: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم". رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: الصوم - باب: هل يقول إني صائم إذا شتم - رقم: ١٩٠٤ - (٣/ ٢٦) .

اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿[الأحزاب: ٣٥].

٦) إقامة شعائر الحج والعمرة: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقال: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وثمره ذلك:

- تهذيب الأخلاق وتطهير النفوس وجلب المنافع الكثيرة: قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]، ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]، ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٣٣]

- سد طرق الضلال والخوف والشقاوة، وفتح أبواب الهداية والأمان والسعادة: قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٧ - ١٩٨]، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]

. [٩٧ - ٩٦]

● معايشة العبد ومشاهدته ومشاركته لواقع مبهج يرتقي بروحه وذاته، ويسعى به لإزالة الحواجز والفروق والفواصل بين إخوانه من الحجاج، فيتبادلون المنافع والتعارف والتعاون والتشاور والتكافل والإعانة، قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٧-٢٨]، ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧]، ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧]، ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٠ - ٢٠٢].

● يُعَدُّ العبد بإقامتها سائراً في إحدى سبل الحصول على الشاء والشكر والفلاح: ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

(٧) العمل والكسب الحلال: القرآن الكريم حث العباد أثناء النهار وخاصة في الصباح والإبكار على العمل والسعي وطلب الرزق، وَرَفَعَ مَنْزِلَهُ مِنْ أَكْلِ مَنْ عَمِلَ يَدَهُ، وتغف به عن السؤال والتعرض للإعطاء، وأرشد أنه من صنيع وسنن الأنبياء، وظهر هذا في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢]، ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧]، ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل:]، ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: ١١]، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ﴾ [المدثر: ٣٤]، ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨]، ﴿وَسَحَرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ * وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٧٩-٨٠] ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾ [المؤمنون: ٢٧].

وثمره ذلك هي:

- الحصول على فضل الله ﷻ من بركة وسعة وزيادة وغنى وقناعة ورضا وغيرها من المنافع الكثيرة: قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]^(١)، ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ

(١) كان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد، فقال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَجِبْتُ دُعوتَكَ، وصليت فريضةكَ، وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين". ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٠/٣٣٥٦)، التفسير البسيط للواحدي (٢١/٤٥٩).

وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴿[الحديد: ٢٥].

● أنه طريق للأخذ بيد العبد إلى ربه والقرب منه والأنس بدعائه وطلبه: قال تعالى:

﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

● أن هذا السعي من العبد يُعد شكراً للنعمة: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ

الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٠ - ١٣]، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا

مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ

مَوَازِرَ لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢]، ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا

عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٥].

٨) الجد في المذاكرة، وطلب العلم، والعمل به^(١): لأن الله ﷻ أمر نبيه وأمه من بعده

بالسعي في طلبه والاستزادة منه حين قال: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وثمره ذلك هي:

● الرفعة والمنزلة العظيمة في الدنيا والآخرة لمن جمع بين العلم والعمل، قال تعالى:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

● تميز صاحب العلم بخصائص أهل السعادة وصفاتهم ومعرفتهم بصفات خالقهم،

وإبعاده عن أهل الشقاوة وأحوالهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾

(١) ومن الأبواب المتاحة لطلب لعلم: الأزهر الشريف جامع وجامعة، والمساجد الكبرى بوزارة الأوقاف

كالمسجد الأحدي، وبعض الدور المتخصصة كمضيعة الشيخ صادق العدوي بالقاهرة، ودار

القراءات في كلية القرآن وعلومه بطنطا، بالإضافة إلى المنصات الرسمية الشرعية والدروس المتاحة

لطلب العلم عبر الإنترنت أون لاين.

[الزمر: ٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال ابن

مسعود: "ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية"^(١).

٩) الطعام: إن تجديد النية عند تناول الطعام في النهار، وتحري أكله بالحلال، والاقتداء بالنبي ﷺ بتطبيق آدابه وسننه^(٢)، والحرص على تناول الطعام الطيب الصحي النافع هو أحد سبل تحصيل السعادة، يقول الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]. ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٤، ٥]، ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٧٥٨).

(٢) كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه، وما عاب النبي ﷺ طعاما قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه، وليس في السنة تفصيل وجبات الطعام التي كان النبي ﷺ يتناولها، ولم تكن من عادة المسلمين في الزمان الأول أن يأكلوا ثلاث مرات، كل يوم، كما هي حال الناس اليوم، وإنما غاية ذلك عندهم أكلتان: أكلة أول النهار، وتسمى الغداء، لأنها تكون في الغدوة، أي: أول النهار، وأكلة بالمساء، وتسمى العشاء، وقد جمع الرسول ﷺ أصول السعادة الإنسانية في قوله: "من أصبح منكم آمنا في سربه - أي في نفسه وعياله - معافي في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت - أي جمعت - له الدنيا". ينظر: المسائل والأجوبة لابن قتيبة (ص ٣٧).

تَأْكُلُوا مِنْ يُبُوتِكُمْ أَوْ يُبُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ يُبُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ... ﴿[النور: ٦١].

وثمره ذلك هي:

- الاستمتاع بالحياة، والتقوي على العبادة، وشكر النعم: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤].

- الحصول على الشفاء والعلاج وقوة البدن: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ * وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٦ - ٦٩].

- فتح باب رضوان الله وتيسير الأمور، والبعد عن غضبه والسقوط في هاوية الشقاء: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: ٨١].

(١٠) ومن الأبواب أيضاً التي يمكن ولوجها للوصول إلى السعادة:

- أ. الاستعانة بالله ﷻ: بأن يطلب العبد من ربه المدد والمعونة في أقواله وأفعاله وكل حياته، فيستعين بربه على أداء العبادات والطاعات والإخلاص فيها، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ويستعين بربه ﷻ في دفع الشر والظلم والأذى والمكر والخداع والبلاءات والمصائب ومواجهة المصاعب والمشاق

فتصفوا له الحياة وتطيب: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وجاء عن يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، ودعا النبي ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، وأمر المؤمنون بقوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

ب. أخذ المبادرة وتعاطي الأسباب المتاحة من أول النهار في التغلب على المهام الصعبة، وقضاء الأمور الشاقة، والإغارة على الأعداء، ومحاولة صد كيد الماكرين، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا لَوُطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبَ بِهِمُكَ بِقَطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١]، ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ [القمر: ٣٨]. وقوله تعالى: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ [العاديات: ٣]، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ [المدثر: ٣٤]، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨].

ج. مراعاة حقوق المسلمين مع بعضهم البعض والتي تكون في الغالب في النهار كزيارة المريض، وتشيع الجنائز، ومراعاة حق القرابة والجوار والصحبة ومن هم تحت يديك، وغيرها من أفعال الخير^(١) التي تطيب لها وبها النفوس، وتجلب السرور

(١) ومن حقوق المسلم على المسلم: رد السلام، وعيادة المريض، وأتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس، والنصيحة، والسعي في قضاء الحوائج خاصة للأرملة والمساكين.

والمحبة بين المسلمين، وتظهر مدى تحلي العبد المسلم بجميل الأخلاق والصفات^(١)، وأداء الحقوق والواجبات، قال تعالى: ﴿وَفَاعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، وقال: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكْ رَقَبَةً * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد: ١١ - ١٨]، وقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ١]، وقال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ

(١) حثنا ربنا جل وعلا على الاهتداء بالنبي الكريم واقتفاء أثره، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال سبحانه مثنيًا على شريف أخلاق نبيه وعظيم شمائله، وداعيًا إلى التخلق بأخلاقه والسير على منهجه لنيل الهدى والرحمة والتزكية: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فعلى العبد أن يهتم بالمظهر والشكل الحسن، والثوب الجميل، والرائحة الطيبة، والنظافة، والغسل، والوضوء.

وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا ﴿النساء: ٣٦﴾، ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيرًا ﴿النساء: ٨٦﴾ .

د. الاعتناء بالمشي والحركة والاختلاط، فهي نعمة عظيمة، ومقاصدها وأهدافها شتى، ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤]، ومن المشي المأمور به، قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] . والمشي في الأرض، باستخدام مناكبها، واستغلال ثرواتها، والانتفاع من خيراتها، والأخذ بالأسباب، والنظر في المسببات، والعبرة بالمخلوقات، والنزود لما بعد الممات، كما في آية "الجمعة": ﴿فَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، وكذلك مشي القصد والتوسط والتواضع من غير خيلاء ولا تجبر لغرض تأدية عبادة أو تحسين صحة أو تطوير حياة: قال ﷺ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧]، وقال: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] . أي: امش مشياً مقتصداً ليس بالبطيء المتشط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلاً وسطاً بين بين^(١)، وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ

(١) عن علي بن أبي طالب ؑ قال: "لم يكن النبي ﷺ بالطويل ولا بالقصير ... إذا مشى تكفأً تكفؤاً كأنما انحط من صلب". رواه الإمام الترمذي في سننه: أبواب: اللباس عن رسول الله ﷺ - باب: ما جاء في الجملة واتخاذ الشعر - رقم: ١٨٥١ - (٣/ ٥٣٩)، قال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه، وقال الشيخ الأرنؤوط: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿[الفرقان: ٦٣] . وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨] . وقال: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْنًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا...﴾ [القصص: ٢٥] .

كانت هذه بعض الطرق النهارية، فيا باغي السعادة الحقيقية استعن بربك واتبع هذه السبل، فصلاتك تُقربك من ربك، وتُبعدك عن عقوبته، وتسد طرق الغفلة، وتجلب لك البشرى والفلاح في الدنيا والآخرة، وتُصلح حالك وأهلك وأولادك، أما دعاؤك فبه تحصل على مطلوبك، وتنكشف به كرباتك، وتُقال عثراتك، أما الذكر فبه يطمئن قلبك ويلين، وتحصل على ذكر ومحبة ربك، وتتغلب على أعدائك، وتُحفظ من الشرور، وتُمد بالقوة والمعونة، أما الصدقة فتُطهر نفسك وتزكيها وتحصنها، وتنزل عليك بها البركة والقناعة والربح وذهاب الهم والغم والحزن، أما صيامك فبه يتقوى جانب المراقبة والتحكم في الشهوات، أما الحج ففيه معاشة ومشاهدة ومشاركته لواقعٍ مبهِجٍ يرتقي بروحك وذاتك، ويسعى بك لإزالة الحواجز والفروق والفواصل بينك وبين إخوانك من الحجاج، فتبادلون المنافع والتعارف والتعاون والتشاور والتكافل والإعانة، أما سعيك في طلب الكسب الحلال

=
والتَّكْفُؤُ: هو التمايل في المشي إلى الأمام، "تَكْفُؤُوا كَأَنَّمَا انْحَطَّ"، أي: كأنه ينحدر، "من صيب"، وهو المكان المنحدر من الأرض، والمعنى: أنه ﷺ كان يسرع في مشيه. ينظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهَرَوِي (١٥٧٨/٥) .

فيعود عليك بسعة الرزق وبركته فتهناً ولا تحتج لأحد، أما طلبك للعلم فيرفع قدرك
ومنزلتك في دنياك وآخرتك، فخذ المبادرة، وتعاطي الأسباب المتاحة من أول النهار في
التغلب على المهام الصعبة، وقضاء الأمور الشاقة، وراعي حقوق إخوانك المسلمين.

المبحث الثالث

طرق تحصيل السعادة الليلية

قال الحق سبحانه: ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَسَّرَ﴾ [الفجر: ٤]، فأقسم ﷺ بالليل إذا جاء وأقبل ثم ذهب وأدبر، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا أَدْبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣]، وقوله: ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا عَسَسَ﴾، [التكوير: ١٧] أي: أقبل ظلامه أو أدبر، فكما في إقبال الصبح من عظيم النفع، في الظلام نفع أيضاً، حيث تهدأ النفوس، وتستريح من عناء العمل، ويحين وقت بعض العبادات العظيمة، حتى كان شأن الصالحين كراهية النوم طوال الليل من غير إقامة عبادة فيه^(١)، ليمتازوا عن حال من كان ليله الدائم الغفلة والانغماس فيما يغضب الرحمن، قال ﷺ: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٩]، ﴿أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧]. ومعلوم أن لعبادة الليل فضل على عبادة النهار، فغالباً ما يتوفر فيها الإخلاص؛ لأن العبد يقوم في ظلمات الليل لا يراه أحد، والمجاهدة تكون فيها أكثر، فهي أشق على النفس، لذلك يكون الأجر فيها أعظم، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦]، وفيها مزيد تدبر وتفهم؛ لأن المشاغل غير متوفرة، فيتواطأ فيها القلب واللسان على

(١) كان النبي ﷺ يوضع له وضوءه وسواكه، فإذا قام من الليل تخطى ثم استاك، وعن ابن عباس، قال: "بت عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة، ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر، قعد فنظر إلى السماء، فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، ثم قام فتوضأ واستن فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال، فصلى ركعتين ثم خرج فصلى الصبح". رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير - سورة آل عمران - باب: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية - رقم: ٤٥٦٩ - (٦/٤١).

التفهُم والتدبُّر، فيجمع بين تخلية القلب من الرذائل بغفران الذنوب، وتحليته بالفضائل بكسب الحسنات ورفع الدرجات، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]^(١).

ومن أهم ما يمكن فعله في هذا الوقت من أعمال تبلغ بالعبد مراقي عالية في مقام السعادة:

(١) الحرص على سلامة القلب قبل النوم^(٢): وتكون سلامته بخلوه من الشرك والنفاق والرياء والشقاق والكبر والعجب والغل والأحقاد وسائر الأمراض التي تعتريه فتؤدي

(١) قال ﷺ: "أفضل الصيام بعد رمضان شهرُ الله المحرَّم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاةُ الليل"، رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: الصيام - باب: فضل صوم المحرم - رقم: ٢٠٢ / (١١٦٣) - (٨٢١ / ٢). وقال ابن مسعود ﷺ: "فضلُ صلاة الليل على صلاة النهار، كفضل صدقة السرِّ على صدقة العلانية".
المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري (٨ / ٢٧٨).

(٢) قال النبي ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم". رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: البر والصلة والآداب - باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله - رقم: ٣٤ / (٢٥٦٤) - (١٩٨٧ / ٤).

وعن أنس بن مالك قال: كنَّا جُلوسًا مع رسولِ الله ﷺ فقال: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار ... فلما كان الغد، قال النبي ﷺ، مثل ذلك، ... فلما قام النبي تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ... فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ، فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا، ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطق. رواه الإمام أحمد في مسنده: مسند عبد الله بن عمرو بن العاص - رقم: ١٢٦٩٧ - (١٢٤ / ٢٠)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

بصاحبه للعقوبة والمؤاخذه، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، بل يجب علي العبد الحرص على سلامة قلبه وعدم تلوثه بالذنوب والجرائم والمعاصي، وعدم تدنيسه بالبدع والخرافات والأوهام والظن السوء، قال خليل الله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧ - ٨٩]، ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣١ - ٣٥]، وهذا هو القلب المنيب الذي ينتفع به العبد في دنياه وأخراه، ويحل به الفتح والخير والغنى والسكينة والطمأنينة والمحبة والمغفرة والرحمة والركة والسعادة، حتى يورث صاحبه الجنان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأَسْرِ إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠]، ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] .

٢) وضع الثياب، والتخفف منها، وتخصيص لباس لعبادات الليل^(١): قال تعالى: ﴿يَا

(١) كان للنبي ﷺ إناء يعرض عليه سواكه فإذا قام من الليل خلا، واستنجدى، واستاك، وتوضأ، وتطيب، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يعجبه الثياب الحسنة النظيفة والريح الطيبة إذا قام إلى الصلاة، وكان تميم الداري إذا قام من الليل للتهجد اغتلف بالغالية واشترى حلة بألف كان يصلي فيها، وكان المغيرة بن حكيم الصنعاني إذا أراد أن يقوم للتهجد لبس من أحسن ثيابه وتناول من طيب أهله وكان من المتهجدتين، واشترى عمرو بن الأسود حلة بثمانين وصبغها بدينار، كان يقوم فيها الليل كله. ينظر: مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر للمروزي (ص ١١٢)، سفر السعادة للفيروزابادي (ص ٢١٧) .

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٣١﴾، وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

(٣) الوصية: كان من دأب السلف الصالح اهتمامهم بالوصية، فكانوا يُوصُونَ ويحثون على ذلك، ومن الصيغ المشهورة في الوصية: "هذا ما أوصى به فلان بن فلان؛ أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأوصى من ترك بعده من أهله أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم، وأن يطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وأوصى إن حَدَثَ بِهِ حَدَثٌ مِنْ وَجَعِهِ هَذَا: أَنْ حَاجَّتَهُ كَذَا وَكَذَا" ^(١)، وهذا ما ندب إليه النبي ﷺ حين قال: "ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده" ^(٢)، وما فهم من حديث القرآن على الوصية في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿... مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ... مَنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ... مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا

(١) رواه الإمام البيهقي في السنن الكبير: كتاب: الوصايا - باب: ما جاء في كتاب الوصية - رقم: ١٢٨٠٨ -

(٨٥/١٣)، وقال المحقق: إسناده حسن.

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: الوصية - رقم: ١ / (١٦٢٧) - (٣/ ١٢٤٩).

الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿[البقرة: ١٨٠]﴾... إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ... ﴿[المائدة: ١٠٦]﴾ وَالَّذِينَ يَتَوَقَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿[البقرة: ٢٤٠]﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿[يس: ٤٩ - ٥٠]﴾.

٤) خاتمة السعادة، حسن الخاتمة^(١): الحرص علي نيلها يضمن للعبد جانباً كبيراً من السعادة الدنيوية بسبب تمسكه الدائم بالطاعة ومراقبة الخالق الذي كتب الخير الكثير في الآخرة لمن ثبت على طريق الاستقامة حتى يلقاه سبحانه، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم ٢٧]، تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران ١٠٢]، ومن أشهر العلامات المبشرة الدالة على حسن الخاتمة: أن يموت الإنسان

(١) فمن عمل ليوم لقاء ربه أتاه ذلك اليوم وهو من السعداء، فحُسن الخاتمة منحة إلهية يهبها الله لأولئك الذين صدقوا في عبادته، ويحببها عن أولئك الذين أعرضوا عن طاعته وسلوكوا طريق الشيطان، ومن وصية العباس بن عبد المطلب في مرض موته لابنه عبد الله: "وإني موصيك بحب الله، وحب طاعته، وخوف الله، وخوف معصيته، فإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك". شعب الإيمان للبيهقي (١٦/٢).

غازياً أو مرابطاً في سبيل الله تعالى^(١)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١]، وكان سفيان الثوري يبكي فيشفق عليه أهله، ويقولون: أتبكي الذنوب؟ فقال: "الذنوب أهون علي من هذه، وأشار إلى تبنه بيده، إنما أخاف سوء الخاتمة"^(٢)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة ٢١٧] "^(٣).

٥) تفقد المال والمسؤوليات ليلاً: قال تعالى في قصة سليمان عليه السلام: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ

(١) من علامات حسن الخاتمة: النطق بالشهادة عند الموت، والموت على عمل صالح، وموت المرأة في نفاسها أو وهي حامل، والموت برشح الجبين، أو ليلة الجمعة ونهاره، أو بالطاعون، أو بداء البطن، أو بسبب الهدم، أو الحرق، أو دفاعاً عن الدين أو المال أو النفس.

(٢) قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي: "واعلم أن لسوء الخاتمة -أعاذنا الله منها- أسباباً، ولها طرق وأبواب، أعظمها: الإكباب على الدنيا، والإعراض عن الآخرة، والإقدام والجسارة على معاصي الله ﷻ، وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة، ونوع من المعصية، وجانب من الإعراض، ونصيب من الجسارة والإقدام، فملك قلبه، وسبق عقله، وأطفاً نوره، وأرسل عليه حجه، فلم تنفع فيه تذكرة، ولا نجعت فيه موعظة، فربما جاءه الموت على ذلك، فسمع النداء من مكان بعيد، فلم يتبين له المراد، ولا علم ما أراد، وإن كرّر عليه الداعي وأعاد! ". العاقبة في ذكر الموت لابن الخراط (ص ١٧٨).

(٣) ينظر: العاقبة في ذكر الموت لابن الخراط (ص ١٧٥).

بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿ص: ٣١﴾^(١)، ويندرج تحتها: المسامرة مع الأهل والأقارب^(٢)، وتوجيه الأولاد وتربيتهم، وبيان فضل الأخلاق الإسلامية كبر الوالدين، وحفظ السمع

(١) وهذا وقت تفقد الخيل والماشية بعد رواحها من مراعيها ومراعتها، يقول الإمام ابن عطية: "واختلف الناس في قصص هذه الخيل المعروضة، فقال الجمهور: إن سليمان عليه السلام عرضت عليه آلاف من الخيل تركها أبوه له، فأجريت بين يديه عشاء، فتشاغل بحسنها وجريها ومحبتها حتى فاتته وقت صلاة العشاء - قال قتادة: صلاة العصر - فأسف لذلك، وقال: ردوا علي الخيل، فطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف عقراً لما كانت سبب فوت الصلاة، فأبدله الله أسرع منها: الريح. وقيل: كانت بالناس مجاعة ولحوم الخيل لهم حلال، فإنما عقرها لتؤكل على وجه القربة لها ونحو الهدى عندنا". المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٤/ ٥٠٣).

(٢) التعامل مع الزوجة والحديث معها والقرب منها، ومعاشرتها بالمعروف، ومشاركتها الحياة والعبادة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، ﴿جَنَاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣]، ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦]، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾، ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾. وقال الإمام ابن كثير: "وكان من أخلاقه عليه السلام أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويصاحك نساءه... ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيأكل معهم العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها. وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام، يؤانسهم بذلك صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٢٤٢).

والبصر والفؤاد، ومراعاة حقوق البيوت وحرمتها^(١)، وآداب المجالس^(٢)، والضيافة^(٣).

(١) ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَھُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٥٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].

(٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

(٣) ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِידٍ﴾ [هود: ٦٩] ﴿قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨] ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [يوسف: ٥٩].

والاستئذان^(١)، وبيان أهمية الوقت، واختيار الصديق الصالح، والتحلي بالتواضع والعفو والصفح والحلم والكرم والتفاؤل وحفظ اللسان، والتعلق بالقرآن وحفظه وتدبره، وصلاة الجماعة، وحثهم على مراقبة الله، والسعي في الحصول على رضى الله وجنته، وشكره على نعمه والحذر من كفرانها^(٢).

٦) استحباب السفر الطويل ليلاً: قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا لَوُطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١]، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، مع كراهية الدخول على الأهل من السفر ليلاً من غير إعلام لغير حاجة، واستحباب الوصول والقدوم عليهم نهاراً: قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣]، وقال ﷺ: "إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرقن أهله ليلاً"^(٣)، وثمرة سفره ليلاً: أن الدابة بالليل أقوى على المشي إذا كانت قد نالت قوتها واستراحت نهارها تضعف مشيها، والإنسان فيه أنشط منه في النهار وأقدر على المشي والسير لعدم الحر وغيره، وفيه سرعة

(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْبِسُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ [النور: ٥٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

(٢) ينظر: سفر السعادة للفيروزابادي (ص ٢٥٨)، السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح لعبد الرحيم المالكي وأمين الشقاوي (ص ١٢).

(٣) رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: النكاح - باب: لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة مخافة أن يخونهم أو يلتبس عثرتهم - رقم: «٥٢٤٤» - (٣٩/٧).

وصول الإنسان إلى مبتغاه وهدفه وما أراد، فتُقضى حاجته، وينشرح صدره^(١)، وفي المقابل، في تجنب طرق الأبواب والدخول على الأهل ليلا منفعة له، في أنه قد تقع عينه على ما لا يسره، وقد لا تقضى بعض حاجاته فيتسلل له الحزن ويغتم لذلك^(٢).

٧) الصلاة ومتعلقاتها: فإذا كانت الصلوات النهارية تفتح أبواب السعادة للعبد الصادق، فإن الله تعالى قد شرع لعباده بعض الصلوات الليلية ليستمر العطاء للعبد بإحاطة حياته بمزيد من السعادة والراحة، فتقر عينه وينصلح حاله، فُشِّرت صلاة المغرب^(٣)، العشاء^(٤)، ونوافلهما، بالإضافة إلى قيام الليل، والتراويح والتهجد^(٥)، والتساييح، والوتر، وصلاة

(١) قال ﷺ: "عليكم بالدُّجَّةِ فإن الأرض تطوى بالليل". رواه الإمام أبو داود في سننه: أول كتاب الجهاد - باب: في الدُّجَّة - رقم: ٢٥٧١ - (٤/٢١٧) - وقال الشيخ الأرناؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد.

(٢) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله ﷺ لابن عبد البر (١٦/٤٧).
(٣) سعادة الصائم وقت آذان المغرب: قال ﷺ: "للصائم فرحتان يفرحهما؛ إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه". رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: الصوم - باب: هل يقول إني صائم إذا شتم - رقم: ١٩٠٤ - (٣/٢٦).

(٤) قال ﷺ: "من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله". رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: المساجد ومواضع الصلاة - باب: فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة - رقم: ٢٦٠ / (٦٥٦) - (١/٤٥٤).

(٥) أداء صلاة التراويح كلها مع الإمام: عن أبي ذر قال: صمنا مع رسول الله ﷺ رمضان فلم يقم بنا شيئا من الشهر حتى بقي سبع فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل فلما كانت السادسة لم يقم بنا فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل فقلت: يا رسول الله لو نفلتنا قيام هذه الليلة. قال فقال: إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة. قال: فلما كانت الرابعة لم يقم فلما كانت

=

الخشوف، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠].

وثمرة ذلك بالإضافة إلى ما سبق في الصلوات النهارية:

● الوصول إلى مقامات خاصة عالية لا تتحصل إلا بالصلوات الليلية، قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

● أخذ مرتبة متميزة في ترتيب سباق المتنافسين في الطاعة والعبادة، وعدم المساواة مع المتكاسلين الراقدين الغافلين: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءُ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩] ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].

● تدريب النفس على استمرار العبادة، وتوطينها ومحاسبتها على تقصيرها، ومساعدتها على الخلوة، ودفعها للقرب من ربها، والأنس به وبطاعته.

٨) الأذكار الليلية وقراءة القرآن:

ويكون ذلك بتخصيص وقت من الليل لأدائها، ومن صور ذلك الأداء:

=

الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح. قال قلت وما الفلاح قال السحور ثم لم يقم بقية الشهر".

● الاستغفار بالأسحار، قال تعالى: «الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَاتِنِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ» [آل عمران: ١٧]، ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨] .

● التسييح، قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩]، ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠]، ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١] ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨]، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥] .

● أذكار المساء: قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، ﴿فَسَبِّحْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧]، ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦] .

● آداب النوم وأذكاره^(١)، والصور التي تقرأ قبله^(١): قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

(١) كان ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات". رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: فضائل القرآن - باب: فضل المعوذات - رقم: ٥٠١٧ - (١٩٠/٦) .

وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿[آل عمران: ١٩٠، ١٩١]﴾، ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢] .

- تخصيص ورد من القرآن لقراءته ليلاً: قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]، كقراءة مئة آية في الليل: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ في ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين" ^(٢)، وقال: "من نام عن حظه أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل" ^(٣)، وقراءة الآيتين من آخر سورة البقرة في الليل: قال النبي

=

(١) قال ﷺ: "اقرأ عند منامك ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] ثم نم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك". و"كان ﷺ لا ينام على فراشه حتى يقرأ كل ليلة ببني إسرائيل والزمر"، "وكان رسول الله لا ينام حتى يقرأ: ﴿الم﴾ * تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ، وتبارك". رواه الإمام أحمد في مسنده: مسند عبد الله بن عمرو بن العاص - رقم: ١٤٦٥٩ - (٢٣/٢٦)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٢) رواه الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين: من كتاب صلاة التطوع - رقم: ١١٧٣ - (٢/١٠٨) - وقال الإمام الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي.

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها - باب: جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض - رقم: ١٤٢ / (٧٤٧) - (١/٥١٥) .

ﷺ: "من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة، في ليلة، كفتاه" ^(١)، كفتاه من قيام الليل، وقيل: من الشيطان، وقيل: من الآفات، ويحتمل من الجميع، وقال أبو مسعود الأنصاري: "من قرأ خاتمة البقرة أجزأت عنه قيام ليلة" ^(٢).

(٩) انتظار الليالي الموسمية لملئها بالعبادات والطاعات:

➤ كاليالي العشر الأول من ذي الحجة، فما من أيام العمل الصالح فيها أحبَّ إلى الله من هذه الأيام، حتى الجهاد في سبيل الله، إلا رجلاً خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء، قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١، ٢].

➤ ليالي أيام التشريق: قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٢] ^(٣)، فكما أن العبد يهتم بنهار هذه الأيام فإن ليلها فرصة عظيمة للذكر والدعاء وإقامة وإظهار شعائر الحج.

➤ ليلة القدر: ليلة الفضل والشرف وهي ليلة يقدر الله فيها أمر السنة في عباده وبلاده إلى السنة المقبلة، وفيها أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم بدأ نزوله مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة،

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها - باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة

البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة - رقم: ٢٥٦ / (٨٠٨) - (١/ ٥٥٥).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (٥٦/٩).

(٣) أي: والزوج والفرد من كل الأشياء، ومنها هذه الليالي، أي بما حوته من زوج وفرد. وقيل: الشفع: يوم النحر؛ لأنه عاشر الأيام، والوتر: يوم عرفة؛ لأنه تاسع الأيام، وقيل: الشفع: يوما التشريق الأول والثاني اللذان يجوز التعجل فيهما بالنفر من منى، والوتر: اليوم الثالث. ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٣٠/ ٢٢٣).

والعمل فيها أفضل من عبادة ألف شهر، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ١ - ٥]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣ - ٤] .

➤ ليلة الجمعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]، فكما أن نهار هذا اليوم فيه فضل العظيم، فإن فضله يبدأ من بداية ليله، فللعبد الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ، وقراءة سورة الكهف، والإكثار من الدعاء، قال ﷺ: "أكثرُوا الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة، فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه عشراً"^(١)، وقال ابن عباس: "لما سأل إخوة يوسف يعقوب أن يستغفر لهم قال: سوف أستغفر لكم ربي، ثم أخرج الاستغفار إلى السحر من ليلة الجمعة كي يستجاب له"^(٢) .

(١٠) الدعاء الليلي^(٣): قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢]، ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

(١) رواه الإمام البيهقي في السنن الكبير: كتاب: الجمعة - باب: ما يؤمر به في ليلة الجمعة ويومها من كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ، وقراءة سورة الكهف، وغيرها - رقم: ٦٠٦١ - (٤٥٠/٦)، وقال المحقق: إسناده صالح.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٤١٣/٢٢)، التفسير البسيط للواحيدي (٢٤٧/١٢) .

(٣) قال ﷺ: "ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني، فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟" . رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: الدعوات - باب: الدعاء نصف الليل - رقم: ٦٣٢١ - (٧١/٨) .

وَجْهَهُ ﴿[الكهف: ٢٨]، ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]^(١)، وقالت أم سلمة رضي الله عنها: علمني رسول الله ﷺ أن أقول عند أذان المغرب: "اللهم هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعائك، وحضور صلواتك، أسألك أن تغفر لي"^(٢)، فالليل هو وقت المناجاة والنجاة لمن اعتبر واستيقظ وقام وانشغل بالطاعات والقربات: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤]، والثالث الأخير منه هو وقت خلوة وغفلة واستغراق في النوم واستلذاذ به، ومفارقة اللذة والراحة صعبة على العباد، فمن أثر القيام لمناجاة ربه والتضرع إليه في غفران ذنوبه، وفكاك رقبتة من النار، وسأله التوبة في هذا الوقت الشاق، فذلك دليل على خلوص نيته، وصحة رغبته فيما عند ربه، وبالتالي تضمن له الإجابة التي هي مقرونة بالإخلاص وصدق النية في الدعاء، إذ لا يقبل الله دعاء من قلب غافل لاه، فلذلك نبه الله عباده إلى الدعاء في هذا الوقت، الذي تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا، ليستشعر العبد

(١) وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما، قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر: "اللهم اهديني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت". رواه الإمام أبو داود في سننه: كتاب: الصلاة - باب: تفريع أبواب الوتر - باب: القنوت في الوتر - رقم: ١٤٢٥ - (٥٦٣/٢) - وقال الشيخ الأرئوط: إسناده صحيح.

(٢) رواه الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين: كتاب: الطهارة - ومن أبواب الأذان، والإقامة - رقم: ٧١٤ - (٣١٤/١) - وقال الإمام الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي.

الإخلاص لربه، فتقع الإجابة منه تعالى رفقا من الله بخلقه، ورحمة لهم^(١).

كانت هذه بعض الطرق الليلية، فيا أيها الساع في تحصيل سعادته، إن كنت سرت في طرقها نهاراً، وتريد الاستمرار والاستزادة فاقرع هذه الأبواب، فبعد تفقد الأهل والمسئوليات واستقرار أمرها احرص على سلامة قلبك، وجهز وصيتك، وتذكر خاتمتك واستعد لها، وحاسب نفسك، واقتطع من ليلك وقتاً للعبادة، وخصص لباساً لذلك، ولا تنس صلواتك وقيامك وأذكارك ودعاءك الليلي.

(١) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨٩/١٠).

ما قبل الختام، كيفية توظيف الأسباب والطرق:

بعد هذا العرض لبعض أسباب السعادة وطرقها، إليك أيها العبد المسلم إرشادات تعينك على كيفية توظيف ما ذكر لك لتحصل على السعادة اليومية:

● أولاً: أن تعرف شرف زمانك وقدر وقتك، فلا تضيع منه لحظة في غير قربة، وتقدم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل، وتكن نيتك في الخير قائمة من غير فتور، فالقليل إلى القليل كثير، وإنما السيل اجتماع النقط، فضم القليل إلى القليل مع الدوام عليه يتكون منه الكثير الهائل العجيب^(١)، فاستغل أوقات دهرك وساعات عمرك في طاعة الله، واملأها بالعبادات والقربات، وما فيه النفع والسعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]، ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبا: ٣٠].

● ثانياً: عليك بالمحافظة على الانضباط والاستمرارية على الصراط المستقيم حتى

(١) يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي"، وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: "إن الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما"، وقال الحسن البصري رضي الله عنه: "يا ابن آدم، إنما أنت أيام، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك"، وقال أيضاً: "أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم". ينظر: شعب الإيمان للبيهقي (١٣/١٩٩)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (٥٠/٨)، قيمة الزمن عند العلماء لعبد الفتاح أبو غدة (ص ٢٧).

نهاية الأجل: كما قال تعالى: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٨]، ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

● ثالثاً: عليك باستغلال كل ما يعينك ويساعدك على اغتنام الزمان: كالانفراد والعزلة قدر الإمكان، والاختصار على السلام، وقلة الكلام، وقلة الأكل، فإن كثرت سبب النوم الطويل وضياح الليل، واحرص على: تنظيم الأعمال، والانحياش عن المجالس الفارغة الخاوية، وترك الفضول في كل شيء، ومصاحبة المجدين النبهاء الأذكياء المتيقظين للوقت والدقائق، وقراءة أخبار العلماء الأفذاذ، والانغمار في متعة المطالعة والاستزادة من المعرفة والاطلاع وتنقيح المعلومات، فإن ذلك يعرفك بقيمة الزمن، ويلهب فيك الحفاظ عليه، ويجعلك تكسبه ولا تبيده، وتحافظ عليه ولا تضيعه، ومن نظر في سير السلف، وآمن بالجزاء، بان له ذلك^(١)، يقول الإمام النووي: "وينبغي للمتعلم أن يغتنم التحصيل في وقت الفراغ والنشاط، وحال الشباب وقوة البدن، ونباهة خاطر، وقلة الشواغل، قبل عوارض البطالة"^(٢)، فالعاقل الموفق من يملأ كل لحظة وثانية من حاضره عمره ووقته بفائدة أو عمل صالح^(٣).

● رابعاً: عليك بعد الاستعانة بالله ﷻ الحرص على الأخذ بأسباب السعادة ما استطعت

(١) قال العباس بن الحسن العلوي: "اعلم أن رأيك لا يتسع لكل شيء، ففرغه للمهم، وأن مالك لا يغني الناس كلهم، فخص به أهل الحق، وأن كرامتك لا تطبق العامة - أي لا تعمهم وتوسع لهم - فتوخ بها أهل الفضل، وأن ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجتك وإن دأبت فيهما، فأحسن قسمتهما بين عملك ودعتك من ذلك". نشر الدر في المحاضرات لأبي سعد الآبي (٤/ ١٥١).

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (ص ٥٠).

(٣) وللمزيد ينظر: قيمة الزمن عند العلماء لعبد الفتاح أبو غدة (ص ٥٦) (ص ١١٨).

إلى ذلك سبيلاً، والزم السير في طرق تحصيلها ما حييت، وابدأ يومك بنية صادقة، ثم بنافلة الفجر فهي خير من الدنيا وما فيها، ثم احرص على صلاة الفجر في جماعة المسجد، واستغل وقتك حتى شروق الشمس في أذكار الصباح، والدعاء، وقراءة القرآن، ثم صلاة الضحى، وأظهر نعمة اللباس وأخذ الزينة، ثم توكل على ربك واطلب العلم، والعمل والكسب الحلال منذ البكور، وأحسن معاملة الناس وأدي حقوقهم، وأقم صلاة الظهر في جماعة ولا يشغلنك عن أدائها شاغل من عمل أو غيره من متاع الدنيا، ولو تمكنت من قيلولة بعد الظهر لأعانتك على قيام الليل، واهتم بطعامك وغذائك مستنفاً بآداب حبيبك ﷺ، ولا تغفل عن صلاة العصر في المسجد، وكذا أذكار المساء، وباشر بعض أعمالك، وزياراتك، واقض بعض حوائجك، وجالس الصالحين، وأكثر من العمل الصالح ما استطعت، فإذا نودي للمغرب فصل النافلة القبلية، ثم صلاة المغرب ثم السنة المؤكدة بعدها، ثم تناول إفطارك إن كنت صائماً، وأد صلاة العشاء في جماعة لتكتب ممن قام نصف الليل ثم السنة البعدية، ثم عليك بالمسامرة مع الأهل قليلاً، ثم الوضوء وقيام الليل والوتر وأذكار ما قبل النوم لو علمت من حالك أنك لن تستطيع أن تقوم في نصف الليل أو ثلثه الأخير، فإن عزمت على أن يكون حالك كحال من ينام أول الليل ثم يُقيم بقيته في الصلاة، والذكر، والدعاء، والمناجاة، وقراءة القرآن وتدبره، والخلوة مع ربه، ومحاسبة نفسه، والتفكير فيما بعد الموت وكيفية الاستعداد له حتى طلوع الفجر فذلك هو الخير، وتلك هي معالم اليوم السعيد الذي يجب عن تعيشه وتحصل عليه.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصالحات، وأُصَلِّي وأُسلِّم على خير الأنام نبينا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه الكرام. أما بعد،

ففي نهاية هذا البحث أحمَدُ الله تعالى على أن يَسَّرَ لي كتابته، وجمَع ما فيه، ومن خلال دراسة موضوع: يوم سعيد من خلال القرآن المجيد "مفاتيح قرآنية لنيل السعادة الحقيقية"، وقَفْتُ على مجموعة من النتائج، وبعض التوصيات التي أدعو إليها:

أولاً: أهم النتائج التي توصلت إليها:

أُلْخِصُّهَا في النقاط التالية:

(١) أظهر البحث أن أوضح المسالك وأظهر الطرق الموصلة للسعادة الحقيقية هي اتباع المنهج القرآني، والتزام الأمر الإلهي، واقتفاء الأثر النبوي.

(٢) السعادة حالة نفسية وشعور وجداني يتحصل عليها العبد بتحقيق معرفة الله ﷻ، ومعرفة حقيقة الإنسان وما خلق له، والبحث عن ما في الكون من أمور تخدم الإنسان وتحقق له مبتغاه.

(٣) لم ترد كلمة السعادة في القرآن الكريم إلا في إطار الحديث عن اليوم الآخر، في آيتين متتاليتين في سورة هود، الأولى بصيغة المبالغة (سعيد)، والثانية بصيغة الفعل الماضي (سعدوا).

(٤) الناس منقسمون إلى قسمين: قسم شقي معذب مستحق للعقوبة بمقتضى الوعيد للعاصين، وكفر المعاندين، وسوء أعمالهم، وتفریطهم في حقوق الله ﷻ، وقسم سعيد متفضل عليه بالنعيم، ومستحق للجنة بموجب الوعد للطائعين، وإيمان العابدين، وأعمالهم الصالحة، مع فضل الله ورحمته.

(٥) السعادة والشقاء عائدين إلى ما كُتِبَ لكل إنسان في كتاب المقادير، ومضى به القضاء

والقدر قبل إيجاد الخلق أولاً، ولما كسب من خير وشر ثانياً، وكل ميسر لما خلق له.

(٦) من أبرز الأسباب الموصلة للظفر بالسعادة الحقيقية: تحقيق الإيمان والتقوى قدر الاستطاعة، والاجتهاد في تحصيل أكبر قدر من الأعمال الصالحة، والتحلي بالأخلاق الإسلامية، ومجاهدة النفس وترويضها، وإظهار الرضا والتسليم لقضاء الله وقدره، واستشعار نعم الله وتذكرها وشكرها، والسعي في المعرفة وطلب العلم ومدارسه وتعليمه.

(٧) من أبرز الموانع والمعوقات التي تحول بين المرء وبين طريق سعادته: الكفر، والشرك، والإعراض عن ذكر الله وعبادته، والنفاق، والرياء، والكبر، والعجب، والحسد، والغيرة، والحقد، والغل، والغضب، والظلم، والتشاؤم، وسوء الظن، والخوف، والتعلق بغير الله ﷻ، وغيرها مما هو على شاكلتها من المعاصي والآثام والجرائم والمخالفات.

(٨) من أبرز طرق تحصيل السعادة النهارية: الاهتمام بالصلوات النهارية وما يتعلق بها، والسعي والعمل والكسب الحلال، والجد في المذاكرة، والدعاء، والحرص على الأذكار النهارية المتنوعة والإكثار منها، والحث على قراءة القرآن، وإخراج الزكاة، والإكثار من الصدقات والإنفاق في وجوه الخير، والحرص على صيام الفرض والإكثار من النافلة، وإقامة شعائر الحج والعمرة، فضلاً عن الاستعانة بالله ﷻ، وأخذ المبادرة وتعاطي الأسباب المتاحة من أول النهار في التغلب على المهام الصعبة، وقضاء الأمور الشاقة، ومراعاة حقوق المسلمين مع بعضهم البعض، والاعتناء بالمشي والحركة والاختلاط، والطعام وآدابه وسننه.

(٩) من أبرز طرق تحصيل السعادة الليلية: السفر الطويل ليلاً، والمسامرة مع الأهل والأقارب، ووضع الثياب والتخفف منها، وتخصيص لباس لعبادات الليل، والحرص على سلامة القلب قبل النوم، والوصية، وحسن الخاتمة، والاهتمام بالصلوات الليلية وما يتعلق بها، وكذلك الأذكار، وقراءة القرآن، والدعاء الليلي، وانتظار الليالي الموسمية لمثلها

بالعبادات والطاعات.

ثانياً: التوصيات:

○ أوصي الباحثين بالاهتمام بكتاب الله ﷻ، ففيه منهج لا بد أن يفهم ويتبع، ومما يُعين على ذلك الاهتمام بالجوانب التطبيقية العملية، ومحاولة تسهيل المفاهيم والنظريات والقواعد برسم أسهل طرق تنفيذها في حياة المسلم.

○ أوصي الباحثين بالعناية بدراسة الموضوعات القرآنية، ومن الموضوعات التي يمكن دراستها: الألفاظ التي توحى بالسعادة كالفرح، والسرور، والنصرة، والبشرى، والرضا، والفلاح، واليسر، والنجاة، والسعة، والعلاقات بينها، ومناسبة اختيارها في سياقها القرآني، ووسائل تطبيقها والظفر بها.

وفي الختام: هذا جهد متواضع أضعه بين يدي القارئ والناقد، وأطلب إسداء النصح والتوجيه لي، وأسأل الله التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله، وصحبه أجمعين.

فهرس بأهم المصادر والمراجع

- ١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لعبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، أبي عبد الله (ت ٣٨٧ هـ) - م: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري - ن: دار الراية للنشر، الرياض - ج: ٩.
- ٢) اقتضاء العلم العمل لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣ هـ) - م: محمد ناصر الدين - ن: المكتب الإسلامي / بيروت - ط: الخامسة، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م - ج: ١.
- ٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، أبي العباس (ت: ١٢٢٤ هـ) - م: أحمد عبد الله القرشي - ن: حسن عباس زكي / القاهرة - ط: ١٤١٩ هـ - ج: ٧.
- ٤) التبيان في آداب حملة القرآن لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) - م: محمد الحجار - ن: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت - ط: الثالثة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م - ج: ١.
- ٥) الترغيب والترهيب لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الجوزي الأصبهاني، المعروف ب - قوام السنة (ت: ٥٣٥) - م: أيمن بن صالح بن شعبان - ن: دار الحديث / القاهرة - ط: الأولى، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م - ج: ٣.
- ٦) التفسير البسيط لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، أبي الحسن (ت: ٤٦٨ هـ) - م: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة - ن: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض - ط: الأولى ١٤٣٠ هـ - ج: ٢٥.
- ٧) تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار - لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤ هـ) - ن: الهيئة

المصرية العامة للكتاب - ط: ١٩٩٠ م - ج: ١٢.

٨) تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، أبي الفداء (ت: ٧٧٤ هـ) - م: سامي بن محمد سلامة - ن: دار طيبة للنشر والتوزيع - ط: الثانية ١٩٩٩ م - ج: ٨.

٩) تفسير القرآن العظيم لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي، أبي محمد، المعروف بابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧ هـ) - م: أسعد الطيب - ن: مكتبة نزار مصطفى الباز/ السعودية - ط: الثالثة ١٤١٩ هـ - ج: ١٣.

١٠) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) لمحمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب: بفخر الدين (ت: ٦٠٦ هـ) - ن: دار إحياء التراث العربي/ بيروت - ط: الثالثة ١٤٢٠ هـ - ج: ٣٢.

١١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة بن مصطفى الزحيلي - ن: دار الفكر المعاصر/ دمشق - ط: الثانية، ١٤١٨ هـ/ ج: ٣٠.

١٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي (ت: ١٤٣١ هـ) - ن: دار نهضة مصر/ القاهرة - ط: الأولى - ج: ١٥.

١٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، أبي جعفر (ت: ٣١٠ هـ) - م: أحمد محمد شاكر - ن: مؤسسة الرسالة/ بيروت - ط: الأولى، ٢٠٠٠ م - ج: ٢٤.

١٤) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لأبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب (٧٩٥ هـ) - م: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس - ن: مؤسسة الرسالة/ بيروت - ط: السابعة، ١٩٩٧ م - ج: ٢.

١٥) الجامع الكبير «سنن الترمذي» لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت:

٢٧٩ هـ - م: شعيب الأرناؤوط - ن: دار الرسالة العالمية - ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م - ج: ٦.

١٦) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، أبي عبد الله (ت: ٢٥٦ هـ) - م: محمد زهير بن ناصر - ن: دار طوق النجاة - ط: الأولى ١٤٢٢ هـ - ج: ٩.

١٧) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) - م: أبو الأشبال الزهيري - ن: دار ابن الجوزي - السعودية

١٨) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، أبي نعيم (ت: ٤٣٠ هـ) - ن: دار السعادة/ مصر - ط: ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م - ج: ١٠.

١٩) الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، أبي الحسن (ت: ٦٥٩ هـ) - م: مختار الدين أحمد - ن: عالم الكتب/ بيروت - ج: ٢.

٢٠) الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدير المستعصي (ت: ٧١٠ هـ) - م: كامل سلمان الجبوري - ن: دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان - ط: الأولى، ١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٥ م - ج: ١٣.

٢١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين (ت: ١٢٧٠ هـ) - م: علي عبد الباري عطية - ن: دار الكتب العلمية/ بيروت - ط: الأولى ١٤١٥ هـ - ج: ١٦.

٢٢) الزهد لسليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، أبي داود (ت: ٢٧٥ هـ) م: ياسر بن إبراهيم بن محمد، غنيم بن عباس - ن: دار المشكاة للنشر والتوزيع/ مصر - ط: الأولى، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م - ج: ١.

(٢٣) زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، أبي زهرة (ت: ١٣٩٤ هـ) -
ن: دار الفكر العربي - عدد الأجزاء: ١٠.

(٢٤) السعادة بين الوهم والحقيقة لناصر بن سليمان العمر - ن: دار الحضارة للنشر
والتوزيع - ط: ٢٠٠٨ - ج: ١.

(٢٥) السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح لعبد الرحيم بن حسين المالكي وأمين بن
عبد الله الشقاوي - ط: الأولى، ١٤٤٢ هـ/ ٢٠٢١ م - ج: ١.

(٢٦) سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السَّجِسْتَانِي، أبي
داود (ت: ٢٧٥ هـ) - م: شَعِيبُ الْأَرْنَؤُوط - ن: دار الرسالة العالمية - ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ/
٢٠٠٩ م - ج: ٧.

(٢٧) السنن الكبير لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ) - م: عبد
الله بن عبد المحسن التركي - ن: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية،
القاهرة - ط: الأولى، ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م - ج: ٢٤.

(٢٨) سنن محمد بن يزيد - ماجة - القزويني، أبو عبد الله (ت: ٢٧٣ هـ) - م: شعيب
الأرنؤوط - ن: دار الرسالة العالمية - ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م - ج: ٥.

(٢٩) شرح صحيح البخاري لعلي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال، أبي الحسن (ت:
٤٤٩ هـ) - م: ياسر إبراهيم - ن: مكتبة الرشد/ السعودية - ط: الثانية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م - ج:
١٠.

(٣٠) شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) - م: عبد العلي
عبد الحميد حامد - ن: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض - ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م
- ج: ١٤.

(٣١) صيد الخاطر لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت

٥٩٧ هـ - م: حسن المساحي سويدان - ن: دار القلم/ دمشق - ط: الأولى ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م - ج: ١.

٣٢ طريق الهجرتين وباب السعادتين لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) - ن: الدار السلفية، القاهرة، مصر - ط: الثانية، ١٣٩٤ هـ - ج: ١.

٣٣ العاقبة في ذكر الموت لعبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي، الأندلسي الأشبيلي، المعروف بابن الخراط (ت ٥٨١ هـ) - م: خضر محمد خضر - ن: مكتبة دار الأقصى / الكويت - ط: الأولى، ١٤٠٦ / ١٩٨٦ - ج: ١.

٣٤ عيون الأخبار لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) - ن: دار الكتب العلمية/ بيروت - ن: ١٤١٨ هـ - ج: ٤.

٣٥ غاية الغايات وطريق السعادات حسن الخاتمة لأزهري أحمد محمود - ن: دار ابن خزيمة - ج: ١.

٣٦ الغريبين في القرآن والحديث لأحمد بن محمد الهروي، أبي عبيد (المتوفى ٤٠١ هـ) - م: أحمد فريد المزدي - ن: مكتبة نزار مصطفى الباز / السعودية - ط: الأولى، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م - ج: ٦.

٣٧ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢ هـ) - م: محب الدين الخطيب - ن: دار المعرفة/ بيروت - ط: ١٣٧٩ م - ج: ١٣.

٣٨ قيمة الزمن عند العلماء لعبد الفتاح أبو غدة الحلبي الحنفي (ت ١٤١٧ هـ) - ن: مكتب المطبوعات الإسلامية / حلب - ط: العاشرة - ج: ١.

٣٩ الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق

(ت: ٤٢٧ هـ) - م: الإمام أبي محمد بن عاشور - ن: دار إحياء التراث العربي/ بيروت - ط: الأولى ٢٠٠٢ م - ج: ١٠.

(٤٠) كيمياء السعادة لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥ هـ) - ن: مطبعة السعادة - ج: ١.

(٤١) لباب الآداب لأبي المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (ت ٥٨٤ هـ) - م: أحمد محمد شاكر - ن: مكتبة السنة، القاهرة - ط: الثانية، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م - ج: ١.

(٤٢) لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي، أبي الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١ هـ) - م: محمد علي شاهين - ن: دار الكتب العلمية/ بيروت - ط: الأولى ١٤١٥ هـ - ج: ٤.

(٤٣) المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي (ت ٣٣٣ هـ) - م: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان - ن: جمعية التربية الإسلامية، البحرين / دار ابن حزم، بيروت - ط: الأولى، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م - ج: ١٠.

(٤٤) مختصر (قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر) لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت ٢٩٤ هـ) - ن: حديث أكاديمي، فيصل آباد / باكستان - ط: الأولى، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م - ج: ١.

(٤٥) المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) - م: مروان العطية - محسن خرابة - ن: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع - ط: الأولى، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م - ج: ١.

(٤٦) المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني، أبي عبد الله الحاكم (ت: ٤٠٥ هـ) - م: مصطفى عطا - ن: دار

الكتب العلمية/ بيروت - ط: الأولى ١٩٩٠ م - ج: ٤.

(٤٧) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، أبي الحسن (ت: ٢٦١ هـ) - م: محمد فؤاد عبد الباقي - ن: دار إحياء التراث العربي/ بيروت - ج: ٥.

(٤٨) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) - ن: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - ط: الثالثة، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م - ج: ١.

(٤٩) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) - ن: دار الكتب العلمية / بيروت ج: ٢.

(٥٠) المفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد بن المفضل، أبي القاسم، المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ) - م: صفوان عدنان الداودي - ن: دار القلم/ دمشق، الدار الشامية/ بيروت - ط: الأولى ١٤١٢ هـ - ج: ١.

(٥١) من هدي الرسول ﷺ المسمى «سفر السعادة» لأبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت ٨١٦ هـ) - م: أحمد عبد الرحيم السايح، عمر يوسف حمزة - ن: مركز الكتاب للنشر، القاهرة - ط: الأولى، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م - ج: ١.

(٥٢) نثر الدر في المحاضرات لمنصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبي (ت ٤٢١ هـ) - م: خالد عبد الغني محفوظ - ن: دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان - ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤ م - ج: ٧.

(٥٣) وحي القلم لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت ١٣٥٦ هـ) - ن: دار الكتب العلمية - ط: الأولى ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م - ج: ٣.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث باللغة العربية:	١٣٠٢
ملخص البحث باللغة الإنجليزية:	١٣٠٤
مقدمة	١٣٠٧
أهمية الموضوع وأسباب اختياره:	١٣٠٨
الدراسات السابقة:	١٣٠٩
الهدف من هذا البحث، وما يضيفه:	١٣٠٩
منهج البحث:	١٣١٠
خطة البحث:	١٣١٢
التمهيد حقيقة السعادة، وما ورد في شأنها في القرآن الكريم	١٣١٤
حقيقة السعادة:	١٣١٤
سياق آيات السعادة في القرآن الكريم:	١٣١٨
المبحث الأول أسباب ومقومات السعادة، وعقبات الطريق	١٣٢٢
المبحث الثاني طرق تحصيل السعادة النهارية	١٣٤٣
المبحث الثالث طرق تحصيل السعادة الليلية	١٣٦٧
ما قبل الختام، كيفية توظيف الأسباب والطرق:	١٣٨٤
الخاتمة	١٣٨٧
أولاً: أهم النتائج التي توصلتُ إليها:	١٣٨٧
ثانياً: التوصيات:	١٣٨٩

فهرس بأهم المصادر والمراجع ١٣٩٠

فهرس الموضوعات ١٣٩٧

بسم الله

